

الجمال في عاشوراء



الحسني، نبيل، ١٩٦٥- م.

الجمال في عاشوراء / تأليف نبيل الحسني. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٨ق. = ٢٠٠٧م.

٢١٢ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٨).

المصادر: ص. ١٩٥ - ٢٠٢؛ وكذلك في الحاشية.

١. واقعة كربلاء، ٦١ ق.٢. عاشوراء - الجمال. - عقائد - أحاديث. ٣. الحسين بن علي عليه السلام، الإمام الثالث. ٤. ٦١ ق. - السيرة. ألف. عنوان.

BP ٤١ / ٥ / ح ٥ ج ٨

مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الجمال في عاشوراء

بقلم

الخطيب السيد نبيل الحسني

إصدار

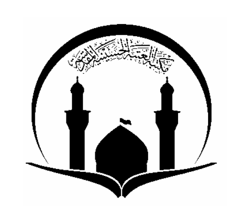
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

شعبة الدراسات والبحوث

١٤٢٨هـ

كل الحقوق محفوظة



قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

العراق: كربلاء المقدسة، العتبة الحسينية المقدسة. هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.ihlib.com

E-mail: info@ihlib.com

مَا رَأَيْتُ إلّا جَمِيلاً

العَقيلةُ زَيْنَب عليها السلام

الإهداء

احترت وأنا أكتب هذه السطور بين تقديم الشكر أم الإهداء! ولولا مقام المهدى إليه هذا الجهد لقدمت الشكر على الإهداء. «فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق»[1].

ولذا..

تراني أقف مطأطئاً رأسي.. عارق جبيني.. ترتعش يداي ويلفني الخجل فبضاعتي مزجاة لا تليق بمن كانت زينة لأبيها، وعقيلة بني عمومتها وبنيها، وشبيهة جدتها خديجة الكبرى عليها السلام. وكفى بها شأناً ومقاماً.

ألاّ إنني وأنا أقف عند أعتاب بابها تذكرت قول الشاعر حيث قال:

هذه زينب ومن قبل كانت　　　بفنا دارها تحط الرحالُ

فقلت في نفسي: هي والله من قبل ومن بعد بفنا دارها تحط الرحال.

فأتبعته بقولي ويدي تمسك حلقة باب دارها:

(١) ميزان الحكمة، للريشهري: ج ٢، ص ١٤٩٣.

هـــــذه زينـــــب وفي كـــــل آن   مـن جـود كفهـا تنـوء الجِمـالُ

سيدتي:

عبدك الأبق قد جاءك بهدية بعد تقصير في خدمتكم فاقبليها بحق أخيك المظلوم الغريب. فليس من شأنكم الرد ولا من شيمكم الأعراض عن السائل.

فها ائنذا ملتمس لفضلكم وجودكم.

شكر وامتنان



أما شكري وامتناني بعد شكر الله وحمده فأتقدم به للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة (أعزها الله).

وإلى قسم الشؤون الفكرية والثقافية، الذي تبنى إصدار هذا البحث وإلى جميع إخواني الذين حرصوا على إخراج هذا الكتاب.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ .

مقدمة القسم

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمه وآلائه سيما نعمة العلم والمعرفة، والصلاة والسلام على المصطفى الأمجد أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

من سرور قسم الشؤون الفكرية والثقافية أن يساهم في رفد المكتبة الإسلامية بنتاجاته الفكرية التي ستكون ذراعاً قوياً في نشر الثقافة الإسلامية سيما الثقافة الحسينية، ومن بهجته أن يقدم كتابه الثامن الموسوم (الجمال في عاشوراء) ليسلط الضوء على الصور الجميلة التي ظهرت في عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام ولكي يطلع القارئ الكريم على الجوانب النيّرة الأخرى من أحداث عاشوراء. فتظافرت الجهود الخيرة مشكورة لإخراج هذا الكتاب النافع، ابتداءً من التنقيح اللغوي والأدبي ومروراً بالتنضيد والإخراج وانتهاءً بالطبع والنشر، ولا يفوتني أن أقدم

شكري وتقديري لأمانة العتبة الحسينية المقدسة المتمثلة بأمينها سماحة الشيخ عبدالمهدي الكربلائي الذي أبدى استعداده التام لدعم الحركة الفكرية والثقافية التي يقوم بها قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كما أشد على يد السيد المؤلف الذي بذل قصارى جهده في تأليف هذا الكتاب القيم.

والحمد لله رب العالمين

الشيخ علي الفتلاوي
رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

المقدمة

عندما يقف الإنسان أمام مجموعة من الكتب ويبدأ بقراءة عناوينها ليختار ما يتناسب مع توجهاته الفكرية والثقافية فإنه بمجرد أن يقع بصره على عنوان يحمل لفظ «عاشوراء» سرعان ما تترسم في ذهنه صورة ملئها الألم والحزن والوحشة!؟.

والسبب في ذلك هو أن واقع عاشوراء بما فيه من المآسي والمصائب التي أنزلتها مجموعة من شرار الخلق على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تستثني منهم طفلاً ولا امرأة ولم تفرق بين من له رحم ماسه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كريحانته من الدنيا وسبطه الإمام الحسين وولده عليهم السلام وبين من هو من عامة الناس.

إن هذا الواقع قد فرض على أذهان الناس هذه الصورة الحزينة والمؤلمة، بل قد شغل هذا الواقع العاشورائي كثيراً من القرّاء والباحثين والمفكرين وراح يضفي بضلاله الذي اتشح بالسواد كثيراً من المشاهد المأساوية التي تأجج العواطف الإنسانية فتجعلها حاجزاً يحجب عنهم العديد من الصور الحياتية والكثير من المفاهيم الفكرية التي زخرت بها ملحمة عاشوراء.

حتى إن العديد من الأبحاث أن أرادت التحدث عن عاشوراء متجنبةً الولوج في مصائبها فهي أما أن تستمد مادتها البحثية من الأسباب والمقدمات التي أفرزت «عاشوراء»؛ أو تجعل نتاجها الفكري ينصب على النتائج التي حققتها الحادثة.

في حين أن عاشوراء في الواقع الحياتي هي مفصل من مفاصل الحضارة الإنسانية التي يتحرك من خلالها الفكر الإنساني، ورافد من روافد الوجود الحياتي الذي أعاد إلى الحياة نضارتها وقدرتها على التألق والزهو فكانت بحق الملهم الذي أوقد أذهان المفكرين والمصلحين في رفد الحياة بالأسس البنائية لقيام حياة كريمة وسالمة من الانحرافات.

إذن: عاشوراء بآلامها وأحزانها ومآسيها ورزاياها وقيمها؛ بل بكل مفرداتها كانت البوابة الواسعة لحياة حضارية فيها كل ما يحتاج إليه الفكر من مفاهيم ومصاديق وقيم وحقائق كالجمال وغيره.

والجمال في هذه الحياة سواء كان يدرك بالحواس أو بالبصيرة قد زخرت به عاشوراء على الرغم من آلامها وأحزانها ومصائبها! لأنها — وكما أسلفنا — قد جمعت كل ما يحتاج إليه الفكر. حتى وإن لم يلمس يها كثيرون جمالاً، ولم يلحض آخرون أن لها حسناً وبهاءاً.

في حين وجدنا من خلال البحث إن فيها جمالاً يخطف الأبصار ويؤنس القلوب ويحيّر الفكر ويأجج العواطف ويدفع النفس إلى التمعن بتلك المشاهد الجمالية والأنس بها طويلاً.

فكم من مشهدٍ بدا فيه جمال تلك الشخوص الطواهر فكان شاغلاً لعين الناظرين بما فيهم الأعداء.

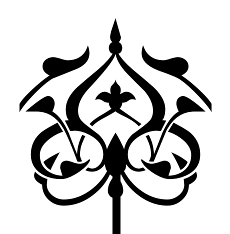
وكم من مشهدٍ بدا لذوي الألباب والبصائر قد تجلى فيه جمال القيم الخلقية والمحاسن النفسية فأصبح مشرفاً في سماء قلوبهم ينير لهم الطريق ويسدد لهم المسير.

ولأجل أن يكون البحث مرآة تعكس هذا الجمال إلى فكر القارئ الكريم وقلبه. قمنا بتتبع مشاهد الجمال في يوم عاشوراء سواء كانت في تلك الشخوص الزواكي عليهم السلام كجمال وجوههم وهيئاتهم؛ أو سواء كانت في مشاهد حياتية وفكرية زخرت بها عاشوراء وجسدتها أبطالها، ابتداء من ليلة العاشر وانتهاء برؤية العقيلة زينب عليها السلام لكل ما جمعته عاشوراء من مكونات؛ فكانت بحق رؤية خاصة تعبر عن كل مكونات الجمال التي استلهم منها المؤلف قراءته ونظرته إلى الجمال.

فكانت بهذا المضمون الذي يراه القارئ الكريم.

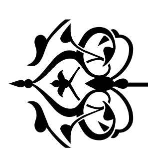
والله الموفق والمسدد لكل صواب.

السيد نبيل قدوري الحسني
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م



المبحث الأول

الجمـــال في اللغـــة والاصـــــــطلاح



الجمال في اللغة

قال الجوهري: الجمال: الحسن؛ وقد جُمل الرجل بالضم، جمالاً فهو جميل، والمرأة جميلة وجملاء أيضاً.

والجُمّال، بالضم والتشديد أجمل من الجميل.

والمجاملة: المعاملة بالجميل.

وجمّلهُ زيّنهُ؛ والتجمل: تكلف الجميل[1].

وقال ابن سيدة: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق[2].

الجمال في الاصطلاح

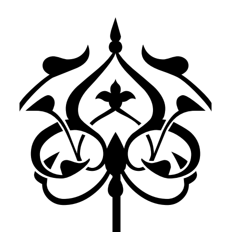
لم نعثر فيما توفر عندنا من مصادر على معنى للجمال في الاصطلاح. ولذلك لم أجد متنفساً لي أبين فيه معنى الجمال اصطلاحاً غير الاعتماد على

---

(١) الصحاح للجواهري: ج ٤، ص ١٦٦٢ - ١٦٦٣، ط دار العلم للملايين.
(٢) لسان العرب لابن منظور: ج ١١، ص ١٢٦.

أحاديث العترة النبوية ﴿عليهم السلام﴾ حول الجمال فاستحصلت منها هذا المعنى الاصطلاحي للجمال: فهو كل ما يؤنس به القلب، ويستر العيوب ويسد النقص والخلل وهو كل شيء متقن.

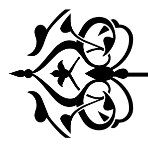
وسوف يمرّ بيان هذه المواضع من خلال البحث في جمال العترة ﴿عليهم السلام﴾.



المبحث الثاني

مفـــــردة الجمـــــال

في القــرآن الكــريم



جاءت مفردة الجمال في القرآن الكريم في أربعة مواضع فقط وقد عنت الآيات التي وردت فيها هذه المفردة بالشؤون الأسرية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الإسلامي وهي كما يلي:

أولاً: الجانب الأسري

يعرض القرآن الكريم الشؤون الأسرية في صورتين، الأولى تناولت الحياة الأسرية لرسول الله ﷺ والثانية تناولت الجانب الأسري للفرد المسلم.

الصورة الأولى

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٨.

هنا في هذه الآية المباركة نجد أن الخيار الذي قدمه القرآن لأزواج النبي ﷺ يدور مدار الجمال ؛ إلا أن حقيقة الجمال بحسب الناظر إليها اختلفت ؛ فجمال الحياة الأسرية في بيت رسول الله ﷺ قائم على الكمال والكفاف والتعفف والنظر إلى حسن الآخرة.

والجمال خارج البيت النبوي قائم على النظر إلى حسن الحياة الدنيا وزينتها. فهناك في بيت رسول الله ﷺ يأنس القلب بالآخرة، وهنا - خارج بيته - يأنس بالحياة الدنيا وزينتها.

ولأن الله تعالى ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ فقد جعل حرية الاختيار لمن لا تطيق منهنّ الصبر على الزهد والكفاف وجهد العبادة وترغب في الحياة المنعمة وتحن إلى رفاهية العيش وتنظر إلى ما في أيدي النساء من الزينة والترف.

أن تنتقل عنه ﷺ وتذهب إلى حال سبيلها لا ينتقص من مهرها شيء فصاحب الشريعة جل شأنه جميل يحب الجمال ولا يرض لرسول الله ﷺ إلا الشيء الجميل.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة : «إن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدنيا إما زيادة في النفقة أو غير ذلك فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً» [١].

---

(١) تفسير جامع البيات للطبري : ج ٢١، ص ١٨٨، ط دار الفكر.

ونقل السيوطي عن ابن سعد قال، قال النساء رسول الله ﷺ: «ما نساء أغلى مهوراً منا؛ فغار الله لنبيه فأمره أن يعتزلهن، فأعتزلهن تسعة وعشرين يوماً ثم أمره أن يخيرهن»[1].

وعنه أيضاً، عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، والجنة والنار**»[2].

ولقد نسب قتادة سبب نزول الآية إلى: «غيرة غارتها عائشة»[3].

وقيل، إنهن قلنّ: «لعلك تظن أن طلقتنا لا نجد زوجاً من قومنا غيرك»[4].

ولأجل ذلك خيرهن الله عزّوجلّ بين المقام عند رسول الله ﷺ أو انتقال عنه مع حفظ حقوقهنّ المهرية[5] وهو التسريح الجميل الذي أشارت إليه الآية المباركة وفيها ظهر جمال تقنين العلاقة الأسرية وعوامل دوامها ممثلاً في

---

(١) تفسير الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٥، ط مكتبة المرعشي - قم.

(٢) الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٥، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي: ج ٣، ص١٠٥، ط دار ابن خزيمة.

(٣) المحرر الوجيز لاين عطية الأندلسي: ص ٣٨٠، ط دار الكتب العلمية، تفسير الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٥.

(٤) الأمثل، في تفسير القرآن لناصر مكارم الشيرازي: ج ٣، ص ٢٢٧.

(٥) مجمع البيان للطبرسي: ج ٨، ص ١٥٢، ط مؤسسة الأعلمي - بيروت. بحار الأنوار للمجلسي: ج ٢٢، ص ١٧٤.

فهم الزوجة لموقع ومكانة زوجها في المجتمع وإن تتعامل معه وفق هذه المعطيات. بل وتكيف نفسها على هذا المستوى من العيش، فإن لم تتمكن فإن لها أن تنفصل عنه كي تترك مجالاً لمن تكون أهلاً لهذا المستوى والشأن الذي يتحلا به الزوج فكيف به إذا كان خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

الصورة الثانية:

استخدام الجمال في حفظ العلاقة الزوجية

أما الخطاب القرآني للمؤمنين في حفظ الحقوق الشخصية ضمن نطاق الأسرة داخل المجتمع المسلم؛ فقد ظهر في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[1].

وهنا: غاية العذوبة في صيانة العواطف والشعور الوجداني للمرآة، فهي إن لم تجمعها المؤهلات مع الزوج وقررت الانفصال، أو هو قدم على ذلك؛ فهذا لا يعني أنها تستغل وتُحبس على غيره من الرجال، أو أن تحرم من حقوقها المهريّة؛ بل أن القرآن عيّن هذا التسريح الجميل للمرآة وجعل لهما خطاً للعودة؛ إذ لعل التعامل الجميل في انفكاكهما يجعلهما يعيدان النظر في هذا الانفصال ويعاودان الاقتران.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٩.

ومن ناحية أخرى يعكس الجانب الإنساني والرحماني للشريعة الإسلامية في حمل هكذا مواقف تكون فيها العواطف والمشاعر الإنسانية على المحك. فتحفظ عندها هذه المشاعر. وفي هذا العمل يظهر جمال التعامل الأسري في جو الخلافات التي تؤدي الى الانفصال.

ثانياً: المجال الاجتماعي السياسي

وفي الجانب الاجتماعي السياسي يقدم القرآن الكريم نموذجاً عملياً في كيفية التعامل مع المستكبرين من خلال خطابه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى:

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾[1].

فيدعوه إلى التحمل لما يبدر من الكافرين والمنافقين الذين يعيشون داخل المجتمع الإسلامي كتكذيبهم بما جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما أمر الإمامة والخلافة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث في سبب نزول الآية المباركة[2].

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٢) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج ١، ص ٤٢٢. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج ١، ص ٢٤١، ط مؤسسة النشر الإسلامي. الطرائف لابن طاووس: ص ١٥٢. الفضائل لابن شاذان: ص ٨٤، ط الحيدرية. المناقب لابن شهر: ج ٢، ص ١٦٧. صراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج ١، ص ٣١٣، ط المكتبة المرتضوية. تفسير الفرات الكوفي: ص ٥٠٣. الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ص٣١٤. منهاج ←

بل يفيد سياق الآيات التي سبقت هذه الآية أن هناك جرأةً وتحدياً لما يدعو إليه رسول الله ﷺ. قال تعالى:

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾[1].

قال العلامة الطباطبائي: لما كان سؤال السائل للعذاب عن تعنت واستكبار وهو مما يشق تحمله، أمر نبيه ﷺ بالصبر ووصفه بالجميل؛ والجميل من الصبر ما ليس فيه شائبة الجزع والشكوى، وعلله بأن اليوم بما فيه من العذاب قريب[2].

الصالحين للشيخ وحيد الخراساني: ج ١، ص ١٧٢. عيون المعجزات لحسين بن الوهاب: ص١٤، ط صادق الكتبي. الأربعون حديثاً لمنتجب الدين ابن بابويه: ص٨٤، ط مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه. الصوارم المحرقة للتستري: ص٧٩، ط نهضت. حلية الأبرار للبحراني: ج ٢، ص ١٢٤. ط مؤسسة المعارف الإسلامية، قم. المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٢، ص ٥٠٢، تحقيق المرعشلي. نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص ٩٣. فيض القدير للمناوي: ج ٦، ص٣٨٣. خصائص الوحي لابن البطريق: ص٩٢، ط دار القرآن الكريم. تفسير القرطبي: ج ١٨، ص ٢٧٩، ط مؤسسة التاريخ العربي. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٢٤٤، ط دار الحديث للطباعة. السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٣٣٧، ط دار المعرفة.

(١) سورة المعارج، الآيات: (١ ـ ٥).

(٢) تفسير الميزان، سورة المعارج، ج ٢٠، ص ٨، ط منشورات جماعة المدرسين بقم.

فكان تعايشهم مع رسول الله ﷺ داخل المجتمع بما فيه من ألم لرسول الله ﷺ إلاّ أنه كان يقابلهم بالصبر الجميل مُنْزِلٌ كل ذلك في ساحة رضا الله وبعين الله تعالى.

ثالثاً: المجال السياسي

قال تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[1].

قالوا في اللغة: أن السياسية، هي القيام على الشيء بما يصلحه[2].

وهنا يرسم القرآن الكريم للنبي ﷺ طريقاً للتعامل مع أولئك المتقولين فيأمره بالصبر والهجر الجميل.

والهجر، هو: الترك، فيقال: هجرت الشيء هجراً، إذا تركته وغفلته؛ فيكون سياق الآية في أسلوب التعامل مع المعارضة هو «بأن تجانبهم وتدانيهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله»[3].

وفي المورد نفسه، أي: الجانب السياسي يوجه القرآن الكريم النبي ﷺ إلى آلية التعامل مع المسيء من الرعية وخاصة في التعزيرات المفوضة إليه كونه الحاكم والإمام.

---

(١) سورة المزمل، الآية ١٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج ٦، ص ١٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩، ص ١٦٥.

«فإن كانت هذه التعزيرات في قبال حق الناس، فالظاهر أن العفو فيها دائر مدار عفو من له الحق.

وأما ما كانت في قبال حقوق الله تعالى فالمستفاد من إطلاق الآيات والروايات الكثيرة الواردة في العفو والإغماض، ومن سيرته ﷺ وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام؛ وغيرهما جواز عفو الإمام عنها إذا رآه صلاحاً ولم يوجب تجري المرتكب[1].

فكانت هذه الآية من ضمن مجموعة من الآيات التي قد عنت بنظام قيادة الأمة. قال تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

---

(١) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للشيخ المنتظري: ص ٣٩٧، ط المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

وقوله تعالى:

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[1].

وقد أخرج الشيخ الكليني رحمه الله بسنده، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها:

ما حملك على ما صنعت؟

فقالت: قلت؛ إن كان نبيا لم يضره، وإن كان ملكا أرحت الناس منه.

قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها[2].

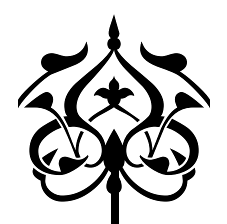
وفي هذا المجال يقدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم درساً لمن يتولى من السياسيين القادة مناصباً سيادية وإدارية في آلية التعامل مع الناس. بل يقدم صلى الله عليه وآله وسلم نموذجاً فريداً في سعة عفوه وتسامحه مع المسيء. وفي هذا «دلالة على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين والمعاشرة بأحسن الأخلاق واستعمال الرفق ليكونوا أقرب للإجابة»[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.

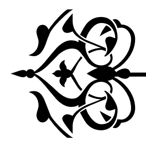
(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو، الحديث ٩.

(٣) مجمع البيان للطبرسي: ج ١٠، ص ٣٨٠.



المبحث الثالث

جمـــال العـــترة النبويـــــــة عليهم السلام



في هذا الجانب من البحث سنتناول الجمال بشقيه الظاهري والباطني في العترة النبوية عليهم السلام. فنبدأ أولاً بجمال وجوه أهل الكساء عليهم السلام ثم نورد عدد من الأحاديث الشريفة التي وردة فيها مفردة الجمال وحددت مواضع وجوده في الأشياء، كي يتكون لدى القارئ الكريم صورة عن الجمال كمفهوم وكحس وجداني يأنس به قلب الإنسان وتتوق إليه نفسه.

والحديث عن جمال أهل البيت عليهم السلام حديث ترحل فيه النفس إلى حضرية القدس لتنهل من ينابيع النور والطهر والصفاء شراباً مزاجه كان كفوراً.

حديث تنال فيه الروح نشوتها، والنفس سكنها، والعين غمضها بجفون أرخاها سحر المنظر فانحت تضمه بين حدقتيها وتلفه برمشيها لتغفوا معه على بساط القلب.

هكذا هو الحديث عن جمال العترة النبوية عليهم السلام. فهم جمال الله وصدوره إلى الخلق أجمعين.

بل بهم ظهر جمال الجميل تعالى شأنه ؛ وبحسبهم لا بحسبه. أي : عندما أراد الله تعالى أن يُعرّف الخلق على صفاته، جعل لها شخوصاً اصطفاهم واجتباهم من خلقه ؛ وهم الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين عليهم السلام. فأكساهم بأدبه وخُلقه ليكونوا أدلاءً على جماله وكماله.

فمن أراد أن يدرك الرحمة الإلهية فإنه يراها متجسدتاً فيمن بعث رحمتاً للعالمين. ومن أراد أن يشاهد النور الإلهي الذي يهتدى به إلى الله، فلينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد أورد القرآن الكريم عدداً من الآيات تبين تلك الصفات والخصائص الجمالية والكمالية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل قد جاء بعضها مشتملاً على عدد من الصفات في موضع واحد من آيات الذكر الحكيم، كقوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1].

فقد جمعت هذه الآية المباركة لعدد من الخصائص والصفات الخاصة به صلى الله عليه وآله وسلم والتي لم تجمع لغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهذه الصفات هي «النبوة، والرسالة، والشهادة، والبشارة، والنذارة، والدعوة إلى الله، والسراج المنير».

ولذا فقد جعل الله تعالى في شخوصهم الطاهرة عليهم السلام كل مكونات الجمال الخلقية والخُلقية. ليكونوا الباب المؤتى منه إلى الله تعالى. وجمعت في

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥ ـ ٤٦.

أعدائهم جميع مكونات الجهل والرذائل من الصفات كي يفرق العقلاء بين تلك الصورتين المتضادتين من الجمال والقبح.

ومن هنا: إذا أردنا أن نتحدث عن جمال العترة النبوية عليهم السلام لخرج الكتاب عن عنوانه لأن هذا يستلزم تتبع جميع الصفات الخلقية والخُلقية لهم عليهم السلام وهذا ما لا يستوعبه كتاب.

ولكن هذا لا يعني أن نهمل الصورة التي يستطيع من خلالها القارئ الكريم أن يتعرف على بعض ملامح الجمال عند العترة الطاهرة عليهم السلام كي يتوصل من خلالها إلى مشاهدة الجمال في يوم عاشوراء.

القسم الأول:

جمال وجوه العترة عليهم السلام

يحدثنا التأريخ عن صورتين لجمال العترة المحمدية عليهم السلام، صورة تحدثت عن الجمال العام لتلك البدور السواطع مجتمعة؛ وصوره تحدثنا عن الجمال الخاص لهم كأفراد؛ ولنأخذ بعض الشواهد.

الصورة الأولى:

الجمال العام لتلك الوجوه

من الحوادث التاريخية التي يمكن لنا أن نأخذ منها صورة عن جمال وجوه العترة عليهم السلام وتحديداً أصحاب الكساء. هي حادثة المباهلة، هذه الحادثة

التي تناولها القرآن الكريم في محكم آياته وتناقلها عنه حفاظ المسلمين ورواتهم ودونها في مصنفاتهم بطرق عديدة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1].

قال الفخر الرازي في تفسيره في هذه الآية: «روي إنه ﷺ لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم أنهم أصروا على جهلهم، فقال ﷺ: **إن الله أمرني أن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم.**

فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك.

فلما رجعوا قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمد نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولأن فعلتم لكان الاستئصال فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٥٩ - ٦١.

وكان رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط أسود، وكان قد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي - عليه السلام - يمشي خلفها، وهو يقول - أي: رسول الله ﷺ :

إذا دعوت فأمّنوا.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، أني لأرى **وجوها** لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه **لإزاله بها** فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة(1).

---

(1) اشتهرت حادثة المباهلة عند جميع حفاظ المسلمين من الخاصة والعامة، فمنهم من أسهب فيها ومنهم من اختصر إلا إنها ملئت مصنافتهم، فراجع قول الأسقف النصراني في: الطرائف للعلامة السيد ابن طاووس رحمه الله: ص ٤٢، ط الخيام بقم. العمدة لابن البطريق: ص ١٨٩، ط مؤسسة النشر الإسلامي. إقبال الأعمال: ج٢، ص ٣٥٠، ط مكتب الأعلام الإسلامي. البحار للمجلسي: ج ٢١، ص٢٧٧، ط الوفاء. تحفة الاحوذي للمباركفوري: ج ٨، ص ٢٧٩، ط دار الكتب العلمية. تاريخ الأحاديث والآثار للزيلعي: ج ١، ص ١٨٦، ط دار ابن خزيمة. تفسير الكشاف للزمخشري: ج ١، ص ٤٣٤، ط مصطفى البابي. تفسير الثعلبي: ج٣، ص ٨٥، ط دار أحياء التراث العربي. تفسير البغوي: ج ١، ص٣٦٠، ط دار المعرفة بيروت. تفسير النسفي: ج ١، ص ١٥٨. تفسير الفخر الرازي: ج ٨، ص٨٥. تفسير البيضاوي ج ٢، ص ٤٧، ط دار الفكر. تفسير الآلوسي: ج ٣، ص١٨٩. تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٤٦، ط دار إحياء التراث العربي. مطالب السؤول لابن طلحة: ص ٣٩ تحقيق ماجد العطية.

والمتأمل في هذه الحادثة وتفاصيلها يجدها تلقي عليه أسئلةً كثيرة. وهي كما يلي:

أ - أي جمال أبصرته عيون الأسقف النصراني ليعرض عن مباهلة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام ولم تره قلوب بعض المسلمين؟!.

ب - وأي وجوه هذه التي اكتست كل هذا البهاء والنظرة والحسن والجمال والتي لو سألت الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها!؟.

ج - وهل أراد الأسقف أن يخبر النصارى أن لهذه الوجوه تجليات من النور تجعل الجبل دكّاً؟ أم إن لهذه الوجوه عند الله تعالى حرمتاً تتغير لها السنن والقوانين الكونية؟.

ربما هي حقائق قبل أن تكون أسئلة كتمها الأسقف عن قومه خوفاً من أن يتهم بالغلو أو أن يتفرق عنه قومه.

وعليه:

فهذه الحادثة قد كشفت عن حقائق عديدة منها ما يتعلق بأمر النبوة ومنها ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام وهي كالتالي:

الأولى: جمال وحسن هذه الوجوه.

الثانية: الوجاه التي لهم عند الله عزوجل. وقد رأى الأسقف هذه الوجاهة والبهاء والعزة والصدق في هذه الوجوه.

وهي حقيقة دلت عليها بعض الأدعية كدعاء التوسل برسول الله وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[1].

بقي أن نقول: أن الأسقف قد رأى وجه النبي ﷺ قبل خروجه للمباهلة، ورأى أيضاً وجه أمير المؤمنين عليه السلام لأنه لا يفارق النبي إلاّ نادراً فبقي الحسن والحسين وأمهما التي يخط جلبابها خلفها فلا يرى منها شيء.

إذن: الشيء الجديد الذي رآه هو وجه الحسن والحسين عليهما السلام ورأى شدة شبهما بجدهما ﷺ واجتماع أنوارهم فعرف أنها وجوه لا يرد لها دعاء.

الصورة الثانية:

الجمال الخاص لتلك الوجوه عليهم السلام

ألف: صفة جمال علي عليه السلام

من المفروض أن نبدأ بذكر جمال رسول الله ﷺ، ولكن سنؤجل البحث فيه إلى (المنظر الخاص بجمال عاشوراء).

ولذا، سنتحدث عن جمال أمير المؤمنين علي عليه السلام. إلا أن الحديث عن جمال علي عليه السلام يحتاج إلى مقدمة.

---

(١) قال العلامة المجلسي رحمه الله هذا الدعاء رواه محمد بن بابوية رحمه الله وقال: ما دعوت في أمرٍ إلاّ رأيت سرعة الإجابة، وهو: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك، نبي الرحمة محمد ﷺ، يا أبا القاسم يا رسول الله يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجتنا يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله. الخ الدعاء». (البحار: ج ٩٩، ص ٢٤٧، مفاتيح الجنان : ١٥٤).

وهي: إن أعداء الله ورسوله ﷺ قد عملوا على التصدي والوقوف بالمرصاد لكل منقبة أو فضيلة رويت أو دونت في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ ناسين أو متناسين إن الله يأبى إلاّ أن يتم نوره ولو كره المشركون. فقاموا بنسج أحاديث هي أوهن من بيت العنكبوت حول هذه المناقب، ظانين أنها تحجب الناظرين، أو تحجز المؤمنين عن التمسك بها وبيانها للناس.

ومن هذه الحقائق الناصعة التي تعرضت لألسنة وأقلام المخالفين، هي حقيقة جمال أمير المؤمنين علي عليه السلام إذا حاولوا من خلال تضليل بعض الصفات الجمالية على القارئ فحملوا اللفظ إلى غير معناه المقصود.

فمثلا: ورد في وصفه أنه عليه السلام: «ألانزع البطين» فجعلوا اللفظ في قالب يخلو من المعنى الجمالي ليوهموا السامع أنه عليه السلام غير جميل في حين أن أصل الحديث قد ورد عن رسول الله ﷺ بهذا الشكل الذي يكشف عن مناقبه وإيمانه وتقواه.

قال زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، قال رسول الله ﷺ:

«يا علي، أن الله قد غفر لك ولذريتك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فابشر فإنك الأنزع البطين، منزوع من الشرك مبطون من العلم»[1].

---

(١) الآمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٩٣. مسند زيد بن علي عليه السلام: ص ٤٥٦، ط دار مكتبة الحياة. المغازي للواقدي: ص ١٥٧. البحار: ج ٢٧، ص ٢٧. المناقب للخوارزمي: ص ٢٩٤. ينابيع المودة: ج ٢، ص ٣٥٧.

أما ما ورد عن بعض المصادر الرجالية في وصفه عليه السلام بأنه (أقرب إلى القصر، وأصلع، وعظيم البطن) فهو محمول - على فرض صحته - على خصوصية غيبيّة اقتضتها حكمة الله من جمع كل ما هو خارج عن قدرات الرجال في علي عليه السلام.

بمعنى آخر: اقتضى تكوين جسم الإنسان بايلوجياً إن يخضع لضوابط وقوانين ومتطلبات فرضتها أجهزة الجسم وخلاياه فهو يسير ضمن تلك الضوابط والمتطلبات ، يشرب الماء عند الإحساس بالعطش، ويأكل عند الشعور بالجوع، وينام خلال اليوم، ٨ أو ٦ ساعات فإذا اخل بأحد هذه المتطلبات فإن الجسم يتعرض إلى الوهن والإرهاق، ونفس الحال يتكرر إذا كان هناك إفراط في هذه الاحتياجات التي تؤدي الى الكسل والخمول والسمنة والعجز وكثير من الأمراض.

ولذا.. إن ترى لعلي أمير المؤمنين عليه السلام: بطنه مع كثرة سهره، وطول تهجده، ودوام صومه، ومواصلة جهاده، وقلة طعامه وشرابه، ولبسه الخشن، مع ما تفرضه عليه حقوق العامة وأمر الأمة وشؤون الرعية، والشؤون الخاصة كالحقوق الزوجية والاهتمام بأمور العيال، وكثير من الجهد الذي لا نعلمه أو ندركه، ومع هذا كله يكون مبطان! فهذا ما لا يمكن توفره إلا عند من أختارهم الله تعالى واصطفاهم لشرعه. فجمع فيهم الأضداد من المحاسن وخصهم بالكمالات الروحية والنفسية والجسدية.

ولذا ؛ ترى في علي عليه السلام رقة القلب وغزارة الدمع مع شدة البأس! وترى فيه الصبر على استصراخ فاطمة عليها السلام مع الغيرة والإباء! والجود لكل محتاج معيل مع وضع الجمر في يد أخيه عقيل!.

والاكتفاء من الدنيا بقرصين من الشعير مع بطنة تلفت الناظر البصير! وغيرها من الإضداد لكثيرٍ.. كثير.

أما لماذا يتمسك بها المخالفون لعلي عليه السلام دون غيرها من الصفات؟!.

فلأن إمامهم معاوية بن أبي سفيان كان قد لحقه دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالابتلاء بالبطنه وفرار الشبع فهو في سباق مع الأطعمة يلاحقها في ساعات الليل والنهار فلا يدركها، وتتبعه في كل آنٍ دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«**اللهم لا تشبع بطنه**»[1].

فكان معاوية يأكل ويقول: «ما شبعت ولكن عييت»[2].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي رحمه الله: ج ١، ص ٤٠٨، ط دار النعمان للنشر. بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله: ج ٤٤، ص ٧٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤، ص٥٥، دار إحياء الكتب العربية. تهذيب الكمال للمزي: ج ١، ص ٣٣٨. تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ٢، ص ٦٩٩، ط دار إحياء التراث العربي. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١ ، ص ٣٣، ط دار الفكر للطباعة. تاريخ الإسلام للذهبي: ج٢٣، ص ١٠٧، ط دار الكتب العربي. الوافي بالوفيات للصفدي: ج٦، ص ٢٥٧، ط دار إحياء التراث.

(٢) اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني رحمه الله: ج ٧، ص ٣٦٦، ط جامعة النجف الدينية.

وفي رواية «ما شبعت ولكن مللت وتعبت»![1].

فلهذا ترى مواليه ومحبيه وأشياعه يتمسكون بصفة «الأنزع البطين»!. فكان من هوان الدنيا على الله أن يكون (البطين) من كثرة الأكل حتى الكلل موصوف بالمعنى الذي تحمله الصفة (البطين من العلم) الذي فتح له منه ألف باب من كل باب ألف باب[2].

ومن بعد هذه المقدمة لم يبق إلا أن يطلع القارئ الكريم على الصورة الحقيقية لجمال أمير المؤمنين عليه السلام والذي نستطيع تأمله من خلال روايتين.

الرواية الأولى

أوردها العلامة المجلسي والطبري، وابن عبد البر واللفظ له قائلاً: «وأحسن ما رأيت في صفته - عليه السلام - : أنه كان ربعة من الرجال الى القصر، هو ادعج[3] العينين، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسنا، ضخم البطن، عريض

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٤، ص ٥٥، ط دار إحياء الكتب العربية. النصائح الكافية لابن عقيل: ص ٢٠٢، ط دار الثقافة.

(٢) رسائل المرتضى: ج١، ص٣١٧، ط دار القرآن الكريم. الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٥٣٩، مؤسسة النشر الإسلامي. المعتبر للمحقق الحلي: ج ٢، ص ٢٥، مؤسسة سيد الشهداء. المناقب لابن شهر: ج ١، ص ٣١٥. أعلام الورى للطبرسي: ج ١، ص ٢٦٧، ط مؤسسة آل البيت.

(٣) أدعج: الدعج شدة سواد العين مع سعتها. (الصحاح للجوهري: ج ١، ص٣١٤).

المنكبين[1]، شثن الكفين[2]، أغيد[3]، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لا يتبين عضده من ساعده قد أدمجت إدماجاً، إذا مشى تكفأ، وإذا امسك بذراع رجل امسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس. وهو إلى السمن؛ ما هو شديد الساعد واليد؛ إذا مشى للحرب هرول. ثبت الجنان، قوي شجاع منصور على من لاقاه»[4].

الرواية الثانية

فقد جاءت على لسان سيد الخلق أجمعين ﷺ.

وهنا، الناظر لبصير، والواصف لفصيح، فهو أفصح من نطق بالضاد، وهو مجمع المحاسن فإذا نظر لم يكن نظره مقيد بزمانٍ أو مكان.. بل ينظر الى كل جمال صوّره وبرءه الله تعالى.

---

(١) المنكب: مجمع عظم الكتف والعضد، الصحاح: ١ / ٢٢٨.

(٢) شثن الكفين: أي خشنت وغلظت، الصحاح: ٥ / ٢١٤٧.

(٣) الأغيد: مائل العنق.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٧، ص ٢٩٧، ط دار الفكر. تهذيب الكمال للمزي: ٢٠، ص ٤٨٩. البحار للمجلسي: ج ٣٥، ص ٥. ذخائر العقبى للطبري: ص ٥٧. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج ١، ص ٥٩٨. جواهر المطالب لابن الدمشقي: ص ٣٦، ط مجمع إحياء الثقافة. مستدرك سفينة البحار: ص ٥٥. وقعة صفين: ٢٣٣، ط مكتبة المرعشي. كشف الغمة للأربلي: ج ١، ص ٨٢. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١٧٨، ط اسماعيليان.

ولذا.. لو كان هناك جمال في الأرض أجمل من جمال يوسف لدل عليه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. في وصفه ولقاد الأحداق لرؤيته والخيال لرسمه.

ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يجد ما يدل القلوب الى ما هو أجمل من جمال يوسف غير جمال علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ولذا خاطب الناس، وقد نظر ذات يوم الى علي - عليه السلام - قال:

«من أحب أن ينظر الى يوسف في جماله والى إبراهيم في سخائه، والى سليمان في بهجته، والى داود في قوته فلينظر الى هذا»[1].

وللحديث بريق خطف أبصار المخالفين!! ونفخ أوداج المعاندين!! كيف يكون لعلي أمير المؤمنين هذا الجمال والسخاء والبهجة والقوة؟!.

وهم كلما نظروا الى المرآة أو الى أئمتهم رئوا القبح، والشح، والعبوسة، والوهن. فمن يميل إليهم؟ ومن يلحق بركبهم غير الذي على شاكلتهم كالدبيبة السوداء شغلها شقوق الجدران وبقايا عفن الديدان.

فظنوا أن العيون لا يبهرها بريق شعاع الشمس الساقط على صفحات وجه الصباح فأرادوا حجب العيون بشبهة نفخوا فيها أبواق التضليل موهمين أنفسهم بأن الزمان والمكان محجور عليه بقيود هذا الزيف.

---

(١) راجع حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان جمال علي عليه السلام: الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ٧٥٧. مناقب آل أبي طالب لابن شهر: ج ٣، ص ٥٧. البحار للمجلسي: ج٣٩، ص ٣٥. ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢، ص ١٨٣. ذخائر العقبى للطبري: ص ٩٤. بناء المقالة الفاطمية لابن طاووس: ص ١٧٠.

كـ «ابن الجوزي» لما مرّ عليه هذا الحديث رد قائلاً: «لئن كنا اسهبنا بعض الشيء في إيراد نمط من مزاج الوضاعين وإسرافهم المقبوح في الأمراء والمديح، فإننا لم نعرج على ما وضعوه من أحاديث هي الشرك الصراح، والكفر البواح، والفتنة العمياء، بتأليه أمير المؤمنين علي ﷺ وأرضاه.

فيما أوردنا عينة مما رموا به الى إشراك علي ﷺ في النبوة فحسب بحيث لا يقل نصيبه منها عن الشطر كاملاً، بل لقد وشت بهم شياطينهم فوضعوا أحاديث جعلوا لعلي رضي الله عنه فيها الشطر الأفضل والنبي تابع له وحاشاه.

قالوا: عن البراء، قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: علي مني بمنزلة رأسي من جسدي؛ خرجه الملاء. فماذا ابقوا للنبي صلى الله عليه - وآله - وسلم من الفضل مع علي ﷺ؟

لقد جعلوا النظر الى وجه علي عباده[1]»... الخ.

وللرد على هذا الرأي، نقول:

١ - اعتاد أهل القبح الفكري اختيار الرواية التي تكون أحد طرقها مقدوح فيه عندهم وحملها كقميص عثمان يطالبون فيها الدفاع عن النبي ﷺ وهو عنهم لبراء ولفعلهم لماقت.

في حين لو أنصفوا أنفسهم والمسلمين لنقلوا الرواية بطرقها الصحيحة.

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي: ج ١، ص ١٧، ط المكتبة السلفية، المدينة المنورة؛ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.

٢ - ما علاقة الشبه بين جمال علي وجمال يوسف عليهما السلام بالشرك!؟ إلا اللهم أن يرى ابن الجوزي أن عملية نقل الصفات التي تقوم بها الجينات الوراثية من إبراهيم ويوسف وسليمان وداود عليهم السلام الى ابن عم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هو شرك اقترفته الجينات!؟ لكنه معذور فلم يكن يدري إن الزمن والحقائق العلمية لتمحوا كثيراً من الجهل. أو إنه فلم يكن يرى غير زمانه، ولم يخرج من شرنقة أفكاره فاعتقد أن شباهة الأبناء بالأجداد هو ضرب من الشرك بل لم يلحظ يوماً قط ان علياً عليه السلام من آل إبراهيم وهو امتداد طبيعي لأولئك الأنبياء عليهم السلام. ولم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

٣ - ما كان لفصاحة هارون أن تضر موسى بشيء؟ ولم يكن إشراكه في أمره انتقاصاً له من شأنه وذهاب فضله؟! ولو قرأ ابن الجوزي كتاب الله وتدبر آياته لعلم أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾[2] وقوله عزوجل: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[3] هو الحق من ربه وهو

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٥.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣٤.

الذي يختص برحمته من يشاء ويمن بفضله على من يشاء وهو الذي جعل علياً للمصطفى أخاً ووزيراً ولعلم ما هو الفضل الذي بقي للنبي مع علي عليه السلام.

فدع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ابن عمه فهو أدرى بشأنه وفضله كما درى موسى بفصاحة هارون، وانظر الى من تأتم به كيف آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ودع المسلمين ينظرون الى المساجد والمصاحف وبيت الله الحرام والمسجد النبوي والى وجه علي. دع العباد لبارئها فإليه إيابهم وعليه حسابهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

بقي أن نقول: أنّ الأثر إذا مرّ بالعقول حمل من فكرها أما جميل حسن أو قبيح عفن، كالريح حاملة طيباً إذا مرت به ونتناً إذا مرت بمواضع النتن.

باء: صفة جمال فاطمة عليها السلام

من العسير جداً الإحاطة بجمال بضعة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للأسباب التالية:

١ - لشدة عفافها وتحصنها فهي سيدة المخدرات من الأولين والآخرين، حتى ورد عنها أنها كانت تحجب الأعمى من الدخول عليها.

فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليه السلام، عن أبيه: «**إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أستأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لم حجبته وهو لا يراك؟**

(١) سورة القلم، الآية: ٧.

فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشم الريح.

فقال النبي ﷺ: اشهد أنك بضعة مني»[1].

٢ - لكونها خلقت من ثمار الجنة فهي كما وصفها رسول الله ﷺ: **«فاخمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاخمة»**[2].

ومن كانت بهذه الرتبة فلا تصفها الألسن.

٣ - من السنن والقوانين العرفيّة التي عليها سادات الناس وأهل الفضل والشرف أن تلازم الجلالة والتحفظ حرمهم من النساء «سواء كانوا أمهات أم أخوات أم بنات أم أزواج».

فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بحرم رسول الله ﷺ؟ وبضعته سيدة نساء العالمين وهذا يلزم أن لا تفوقها أو تسبقها الى المكارم والفضائل امرأة من بيوتات الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٤، ص ٢٨٩. النوادر للراوندي: ص ١١٩، مؤسسة دار الحديث الثقافية. دعائم الإسلام للمغربي: ج ٢، ص ٢١٤. البحار: ج ٤٣، ص٩١. جامع أحاديث الشيعة للبروجردي: ج ٢٠، ٢٩٩. درر الأخبار للحجازي: ص ٣٠٤.

(٢) الأمالي للصدوق رحمه الله: ص ٥٤٦، ط مؤسسة البعثة. مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي: ص ١٩١. الاحتجاج للطبرسي: ج ٢، ص ١٩١، ط دار النعمان النجف. المناقب لابن شهر: ج ٣، ص ١١٤. معاني الأخبار للصدوق: ص ٣٩٦. كشف الغمة للاربلي: ج ٢، ص ٨٧.

ولـذا روي عنهـا قولهـا: خـير للمـرأة أن لا يراهـا الرجـل وأن لا تـرى الرجل[1].

ألا أن المؤمن والمؤمنة يمكـن لهمـا أن ينظـرا بعـين القلـب إلى صـفة جمـال فاطمة عليها السلام من خلال الروايتين التاليتين.

الرواية الأولى: عن ابن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبـد الله عليه السلام لم سميت الزهراء؟ فقال: «**لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورهـا لأهـل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض**»[2].

والرواية الثانية: عن عائشة زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قالت: كنا نغـزل في الليلة الظلماء بنور وجه فاطمة عليها السلام[3].

جيم: صفة جمال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

ذكـر الـرواة صـفة جمـال الإمـام الحـسن عليه السلام سـبط رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلفظـين، الأول كـان يرجـع فيـه الى شـبهه عليه السلام بجـده الـنبي المـصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؛ فكان يشبهه ما بين الصدر الى الرأس[4].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٤، ص ١٨٣. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص١١٩. بحار الأنوار: ج٤٣، ص٨٤. مجمع الزوائد للهيثمي: ج٤، ص٢٥٥.

(٢) علل الشرائع للصدوق رحمه الله: ج ١، ص ١٨٠.

(٣) أخبار الدول للقرماني: ج ٢، ص ٢٠١.

(٤) البحـار للمجلـسي: ج ٤٤، ص ١٣٧. كـشف الغمـة: ج ٢، ص ١٤٨. الذريـة الطاهرة للدولابي: ص ١٠٤، ط الدار السلفية.

والثاني: كان يرجع فيه الى صفة جماله الخاصة عليه السلام. فقالوا فيه: كان الحسن عليه السلام أبيض مشربا بالحمرة، أدعج[1] العينين، سهل الخدين، دقيق المسربة[2]، كث اللحية[3]، ذا وفرة[4]، كأن عنقه إبريق فضه، عظيم الكراديس[5]، بعيد ما بين المنكبين[6]، ربعة ليس بالطويل، ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد[7] الشعر، حسن البدن[8].

---

(١) الدعج: شدة سواد العين مع سعتها. (الصحاح ٢ / ١٤٨).

(٢) المسربة: شعرات تنبت في وسط الصدر إلى أصل السرة كقضيب. (كتاب العين للفراهيدي: ٧ / ٢٤٩).

(٣) الكث، والأكث: نعت للكبير اللحية، ومصدره الكثوثة والكثث. (كتاب العين: ج٥، ص ٢٧٦).

(٤) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، وقيل ما سال على الأذنين من الشعر، والجمع وفارٌ. (لسان العرب: ج ٥، ص ٢٨٨).

(٥) الكراديس: رؤوس العظام، واحدها كردوس، وكل عظمين أتقيا في مفصل، فهو كردوس نحو المنكبين والركبتين والوركين.

(٦) المنكب: من الإنسان وغيره: مجتمع رأس الكتف والعضد. (لسان العرب: ج١، ص٧٧١).

(٧) الجعد من الشعر، غير السبط لأن سبوطة الشعر هي الغالبة على شعور العجم والروم والفرس، وجعودة الشعر، هي الغالبة على شعور العرب. (لسان العرب: ٣/ ١٢٢).

(٨) كشف الغمة: ج ٢، ص ١٤٨، ط دار الأضواء. الذرية الطاهرة للدولابي: ص١٢٠ ط الدار السلفية. ذخائر العقبى: ٦٢. البحار: ج ٤٣، ص ٣٠٣. الدر النظيم لابن حاتم: ص ٥١٥، ط مؤسسة النشر الإسلامي.

دال: صفة جمال الإمام الحسين الشهيد عليه السلام

تناول الرواة صفة جمال الإمام الحسين عليه السلام من عدة جوانب فمنهم من أشار إلى صفة جمال الجسم واللون، ومنهم من أشار إلى نور وجهه، بينما ركز القسم الأكبر منهم على التشابه بين الإمام الحسين عليه السلام وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

يمكن أن يرى القارئ الكريم صفة جمال سيد الشهداء عليه السلام من خلال الروايات التالية.

١- أنه كان أشبه أهل البيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن كانت هذه الرواية لتدمي القلب وتجري الدمع إلا إنها تنقل للمؤمن هذا الجمال الحسيني.

فقد أخرج الترمذي في صحيحة، عن أنس بن مالك قال: «كنت عند ابن زياد فجئ برأس الحسين، فجعل يقول[1]: بقضيب في أنفه!!! ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً لم يذكر!!؟.

قال: قلت أما إنه كان من أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأعقبه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن صحيح غريب»[2].

(١) هكذا وردت في المصادر ولعلها حرفت من (ينكت) بقضيب في أنفه إلى (فجعل يقول) كي لا يلتفت القارئ إلى قبح فعل ابن زياد. وما صنعه برأس سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٥ برقم ٣٨٦٧. المناقب لابن شهر: ج ٣، ص٢٣٠. العمدة لابن البطريق: ص ٣٩٧، ط مؤسسة النشر الإسلامي. البحار للمجلسي: ←

ولا أدري ما هو الشيء الغريب عند الترمذي! أفعل ابن زياد، أم جمال الحسين عليه السلام الذي طغى على القوانين والسنن الطبيعية!؟ فلم تفقده كثرة الجراحات وتخضيبه بالدماء وتعرضه لأشعة الشمس وغبار الرياح وغيرها مما حوته المعركة جماله وحسنه.

لكن الأمر الغريب حقاً هو أن يرى عبيد الله بن زياد ذلك الحسن والجمال ويشغله عن النظر إلى آثار الدماء، بل أنه ليعجب من هذا الحسن الذي لم ير مثله من قبل.

والأغرب من هذا إن تحتمل زينب عليها السلام فراق هذا الجمال!.

٢ - صفة جمال جسده ولونه عليه السلام.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «**من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين وجهه إلى عنقه فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين عنقه إلى كعبه خلقا ولونا فلينظر إلى الحسين بن علي**»[1].

ج٤٤، ص ١٩٤. مسند احمد بن حنبل: ج ٣، ص ٢٦١. مسند أنس بن مالك، صحيح البخاري: ج ٤، ص ٢١٦. باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ط دار الفكر. مسند أبي يعلى: ج ٥، ص ٢٢٨، ط دار المأمون للتراث. عمدة القاري: ج ١٦، ص ٢٤٠.

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج ٣، ص ٩٥، ح ٢٧٦٨، ط دار إحياء التراث العربي. نظم درر السمطين الزرندي الحنفي: ص ١٩٤، ط سنة ١٩٥٨م. كنز العمال

ب - وعن الزبير بن بكار قال: وكان جسد الحسين عليه السلام يشبه جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ج - وعن أنس بن مالك: «ولم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحسين بن علي عليهما السلام»[2].

٣ - لم يكن أحدٌ قط أحسن ولا املأ للعين من الحسين عليه السلام

من بين الرجال الذين قصدهم الإمام الحسين عليه السلام وعرض عليه أن يخرج لنصرته هو عبيد الله بن الحر الجعفي ولكنه لم يستجب لدعوة الإمام وتخلف عن الركب الذي توجه إلى كربلاء؛ فلما قتل الإمام الحسين عليه السلام ندم على ترك نصرته ندماً شديداً.

فكان يحدث الناس بهذا اللقاء الذي تم بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام، ويصف لهم جماله وحاله قائلاً: ما رأيت أحداً أحسن ولا املأ للعين من الحسين، ولا رقفت على احد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله[3].

للمتقي الهندي: ج ١٣، ص ٦٥٩، ح ٣٧٦٧٣. معارج الوصول الى معرفة آل الرسول للزرندي الشافعي: ص ٨٦، ط بتحقيق ماجد احمد العطية.

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩، ص ١٨٥. ط دار الكتب العلمية. شرح إحقاق الحق: ج ٢٧، ص ٣١، مكتبة آية الله المرعشي.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر: ص ٤٧٥، إحياء التراث العربي.

(٣) خزانة الأدب البغدادي: ج ٢، ص ١٣٩، ط دار الكتب العلمية. الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ص ٥٤٩، ط مؤسسة النشر الإسلامي - بقم. أبصار العين

٤ - أنه كان يهتدى إليه في المكان المظلم ببياض جبينه ونحره

ذكر ابن شهر آشوب: إن الإمام الحسين عليه السلام كان يقعد في المكان المظلم فيهتدى إليه ببياض جبينه ونحره[1].

والظاهر: أن المراد بالبياض هو النور. إذ لا يتناسب أن يكون جبين الإمام ونحره أبيض ووجه أسمر! لأن الرواية خصت الجبين والعنق بالبياض هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن الضوء في الحالات الطبيعية هو الكاشف للألوان ومن خلاله يستطيع الإنسان التمييز ويستدل على حقائق الأشياء.

وعليه:

فأن الرواية تدل على أن هذا البياض الموجود في جبين الإمام الحسين عليه السلام وعنقه إنما هو عبارة عن نور لونه أبيض وأن الناظر في المكان المظلم ليهتدي إلى الإمام الحسين بواسطة هذا النور الذي ينبعث من جبينه ونحره؛ ومثال ذلك هو اهتداء الفراش الى ضياء نور الشمعة عندما توقد في المكان المظلم.

للسماوي: ص ١٥٢، ط مركز الدراسات الإسلامية - بقم. شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج ٢٧، ص ٣١، ط مكتبة لمرعشي.

(١) المناقب لابن شهر: ج ٣، ص ٢٣٠، ط المطبعة الحيدرية. منهاج الصالحين لآية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني: ج ٤، ص ٤٦، ط مؤسسة المعارف الإسلامية. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٨٧. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص ٣٠، ط مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه).

٥ - صفة جمال صوته عليه السلام

قال الحافظ ابن عساكر الدمشقي إنه كان في صوت الحسين - عليه السلام - غنة حسنة؛ والغنة هي صوت لذيذ يخرج أقصى الأنف، وشبه به صوت الرياح في الأشجار الملتفة، ولذلك قيل: «روضة غناء»[1].

إذن:

هذه هي الوجوه التي رأها أهل نجران الذين خرجوا لمباهلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه هي الوجوه التي تظهر فيها التجليات التي إذا أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله.

أما بقية جمال وجوه الأئمة الأطهار فقد أوكلنا التعرف عليها الى رواد البحث وعشاق المعرفة كي لا يخرج البحث عن عنوانه.

القسم الثاني:

مفردة الجمال في بعض أحاديث العترة عليهم السلام

نعرض هنا بين يدي القارئ الكريم مجموعة من الأحاديث الشريفة الواردة عن العترة النبوية عليهم السلام والتي تتناول وجود الجمال في الأشياء فما من شيء إلا وله جمال أما ظاهر وأما مستتر. كما تدل الأحاديث على أن بعض مصاديق الجمال هو ستر القبح في الأشياء وإخفائه عن الناس.

---

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: حديث ٢٦٤. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٣، ص٣٩٠، ط اسماعيليان. إحقاق الحق للمرعشي رحمه الله: ج٢٧، ص٣٥.

لأن الإنسان بطبيعته ينقاد الى الجمال ويأنس به، وينفر من القبيح ويبتعد عنه. ولذلك جاءت هذه الأحاديث الشريفة لترسم أمام الباحثين والمفكرين حقيقة الجمال وبيان مفهومه.

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولا جمال أزين من العقل، ولا سواه أسوء من الكذب**»[1].

٢ - عن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**الإتيان إلى الجمعة زيارة وجمال! فقيل: يا أمير المؤمنين وما الجمال: قال أقضوا الفريضة وتزاوروا**»[2].

٣ - قال الإمام الصادق عليه السلام، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم**»[3].

٤ - قال الصادق عليه السلام: «**الجود والورع جمال الفقير**»[4].

هنا: يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى استخدام الجود والورع كستار يستر به الفقير قبح الفقر الذي يعيبه عليه الناس فإذا كان جواد وورع غطى بهذا الجمال عيب فقره.

(١) الكافي للكليني: ج ٨، ص ١٨. البحار: ج ١، ص ٨٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٦، ص ٧.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٢٢٨.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١١، ص ١٧٥. مشكاة الأنوار للطبرسي، ط المكتبة الحيدرية. معاني الأخبار للصدوق: ص ٢٣٤.

٥ - قال الصادق عليه السلام: «**الخلق الحسن جمال في الدنيا ونزهة في الآخرة**»[1].

٦ - قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**حسن الصورة جمال ظاهر وحسن العقل جمال باطن**»[2].

٧ - قال الإمام علي عليه السلام: «**العلم جمال لا يخفى ونسيب لا يجفى**»[3].

٨ - وعن علي عليه السلام أنه قال: «**جمال العلم نشره وثمرته العمل به وصيانته وضعه في أهله**»[4].

٩ - وله عليه السلام أيضاً: «**جمال العالم عمله بعمله**»[5].

١٠ - وقال عليه السلام: «**حسن النية جمال السرائر**»[6].

١١ - وقال عليه السلام: «**جمال القرآن البقرة وآل عمران**»[7].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٨، ص ٤٤٩. البحار: ج ٦٨، ص ٢٩٣.

(٢) البحار: ج ١، ص ٩٥.

(٣) غرر الحكم: ص ٤٢، برقم ٥٥.

(٤) غرر الحكم: ص ٤٤.

(٥) غرر الحكم: ص ٤٥.

(٦) غرر الحكم: ص ٩٢.

(٧) غرر الحكم: ص ١١٠.

١٢ - وعنه عليه السلام: «**جمال العبد الطاعة**»[١].

١٣ - وعنه أيضاً: «**الصدق جمال الإنسان**»[٢].

١٤ - وقال عليه السلام: «**خلب الأدب جمال الحسن**»[٣].

١٥ - وقال عليه السلام: «**جمال الرجل الوقار**»[٤].

١٦ - وقال عليه السلام: «**حسن السيرة جمال القدرة**»[٥].

١٧ - وقال عليه السلام: «**جمال المؤمن ورعه**»[٦].

١٨ - وقال عليه السلام: «**جمال الدين الورع**»[٧].

١٩ - وقال عليه السلام: «**جمال الرجل حلمه**»[٨].

٢٠ - وقال عليه السلام: «**جمال السياسة العدل في الأمره، والعفو مع القدرة**»[٩].

---

(١) غرر الحكم: ص ١٨١.

(٢) غرر الحكم: ص ٦٩٣.

(٣) غرر الحكم: ص ٢٤٨.

(٤) غرر الحكم: ص ٢٥٠.

(٥) غرر الحكم: ص ٢٥٥.

(٦) غرر الحكم: ص ٢٦٩.

(٧) غرر الحكم: ص ٢٧١.

(٨) غرر الحكم: ص ٢٨٥.

(٩) غرر الحكم: ص ٣٣٩.

٢١ - وقال عليه السلام: «**العدل قوام الرعية وجمال الموالاة**»[١].

٢٢ - وقال عليه السلام: «**جمال المعروف إتمامه**»[٢].

٢٣ - وقال عليه السلام: «**جمال الإحسان ترك الامتنان**»[٣].

٢٤ - وقال عليه السلام: «**جمال العيش القناعة**»[٤].

٢٥ - وقال عليه السلام: «**لا جمال كالحسب**»[٥].

٢٦ - وقال عليه السلام: «**جمال الأخوة إحسان العشرة**»[٦].

٢٧ - وقال عليه السلام: «**جمال الحكمة الرفق وحسن المدراة**»[٧].

٢٨ - وقال عليه السلام: «**جمال الحر تجنب العار**»[٨].

٢٩ - وقال عليه السلام: «**جمال الشر الطمع**»[٩].

---

(١) غرر الحكم: ص ٣٤٠.

(٢) غرر الحكم: ص ٣٨٣.

(٣) غرر الحكم: ص ٣٩٠.

(٤) غرر الحكم: ص ٣٩١.

(٥) غرر الحكم: ص ٤٠٩.

(٦) غرر الحكم: ص ٢١٥.

(٧) غرر الحكم: ص ٤٤٥.

(٨) غرر الحكم: ص ٣٢٥.

(٩) غرر الحكم: ص ٢٩٧.

٣٠ - وقال عليه السلام: «**من لم يحمل قليلا لم يسمع جميلا**»[1].

٣١ - وقال عليه السلام: «**لو رأيتم الإحسان شكلا لرأيتموه شكلا جميلا**»[2].

٣٢ - وقال عليه السلام: «**ما أقبح بالإنسان باخنا عليلا وظاهرا جميلا**»[3].

٣٣ - وقال عليه السلام: «**جميل النية سبب لبلوغ الأمنية**»[4].

٣٤ - وقال عليه السلام: «**عود نفسك حسن النية وجميل المقصد تدرك في مباغيك النجاح**»[5].

٣٥ - وقال عليه السلام: «**جميل الفعل يبنئ عن خيب الأصل**»[6].

٣٦ - وقال عليه السلام: «**جميل القول دليل وفور العقل**»[7].

٣٧ - وقال عليه السلام: «**الحياء خلق جميل**»[8].

---

(١) غرر الحكم: ص ٢٨٧.

(٢) غرر الحكم: ص ٣٨٣.

(٣) غرر الحكم: ص ٤٥٨.

(٤) غرر الحكم: ص ٩٢.

(٥) غرر الحكم: ص ٩٢.

(٦) غرر الحكم: ص ١٥٣.

(٧) غرر الحكم: ص ٢١٠.

(٨) غرر الحكم: ص ٢٥٦.

٣٨ - وقال عليه السلام : «**المرائي ظاهره جميل وباخنه عليل**»[١].

٣٩ - وقال عليه السلام : «**جميل المقصد يدل على خهارة المولد**»[٢].

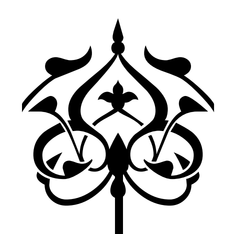
٤٠ - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**أن اللّه جميل يحب الجمال و يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس**»[٣].

---

(١) غرر الحكم: ص ٣١١.

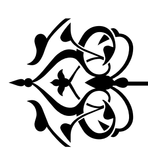
(٢) غرر الحكم: ص ٤٠٩.

(٣) ميزان الحكمة للري شهري: ج ١، ص ٤١٤.



المبحث الرابع

مفهوم الجمال عند الإمام الحسين عليه السلام والبعد السيكولوجي



بعد هذه الجولة في أحاديث العترة النبوية صلوات الله عليهم أجمعين ؛ ولاسيما أحاديث سيد البلغاء والمتكلمين علي أمير المؤمنين عليه السلام ، بقي أن نشير الى مفهوم الجمال عند الإمام الحسين عليه السلام كي يكون مقدمه لمفهوم الجمال في عاشوراء.

قال عليه الصلاة والسلام : «**واعلموا أنَّ المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً؛ فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً قبيحاً مشوهاً تنفر منه القلوب، وتغض دونه الأبصار**»[1].

(١) كشف الغمة : ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، ط دار الأضواء. مستدرك الوسائل : ج ١٣ ، ص٣٤٣. أعلام الورى : ص ٢٩٨. البحار : ج ٧٥، ص ١٢١ . شرح إحقاق الحق للمرعشي : ج ١٩ ، ص ٤١٩. جامع أحاديث الشيعة : ج ١٣ ، ص ٥٤٤ ، ط منشورات مدينة العلم. نزهة الناظر للحواني : ص ٨١. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ص ٨٩٧.

مقدمة المبحث

عندما ننظر الى الحياة نجد هنالك عوالم كثيرة تحيط بالإنسان وكل عالم من هذه العوالم له صفاته الخاصة به وله طبيعته ومميزاته الخاصة التي يمتاز بها عن العوالم الأخرى.

وهذه الصفات، والمميزات إنما وجدت لتدل على قضيتين؛ القضية الأولى: عظمة الله عز وجل باعتبارها آثار يتجلى فيها التوحيد فتدلل العقل البشري على أن الله هو الخالق والبارئ والمدبر والرازق والقائم والمحي والمميت وغيرها من الصفات التي تأسر القلب وتذهل الفكر ويحتار فيها الطرف فيرتد الى الناظر وهو حسير.

ألا أن هذه الآثار كانت عند أهل السير الى الله وأهل المعرفة وغيرهم الطريق الموصل الى التوحيد، ولكن هي عند الإمام الحسين عليه السلام بمنظور آخر!! فما يقول عنها عليه السلام.

قال: «كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقد إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليلٍ يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبك نصيباً»[1].

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، أعمال يوم عرفة، دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

وهذا المستوى من المعرفة لا تجده إلا عند أهل البيت عليهم السلام، وهذه الرتبة من التوحيد لا يرقى إليها إلا سيد الخلق وعترته صلى الله عليه وآله وسلم.

أما القضية الثانية: فهي التكامل والتدافع الحياتي على هذه الكوكب قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ومن مقتضيات هذا التدافع ان جعل الله له بعض الخصائص نذكر منها ما يلي:

أولاً: الحس البيولوجي (العضوي)

فالحس البيولوجي: اشترك فيه معظم الموجودات التي تمتلك القدرة على النمو؛ كالحيوان، والنبات، والإنسان فهذه المجاميع تتأثر بيولوجياً بالحرارة والبرودة والجوع والعطش والتكاثر وغيرها.

ثانياً: الحس السيكولوجي (النفسي)

أما في الحس السيكولوجي: فقد اختلفت هذه المجاميع فيما بينها بالامتلاك لهذا الحس أو عدمه أو الحصول على بعض عناصره، كالخوف مثلاً فقد اشترك فيه الإنسان والحيوان، ولكن النبات يفتقد إليه، وكالاستشعار بحدوث الكوارث فقد أحرزها بعض أصناف الحيوان كالطيور والخيل وغيرها وافتقر إليها الإنسان؛ وهكذا.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥١.

ثالثاً: الإحساس بالجمال

أما الإحساس بالجمال والذي يعد أحد أهم الدلائل على الحس السيكولوجي (النفسي)، فالإنسان هو الكائن الوحيد على هذه الأرض الذي اختص بهذا الإحساس وانفرد بهذا الشعور. بل لا نبالغ إذا قلنا إن كل هذا الجمال في الكون أظهره الجميل سبحانه وتعالى ليتحسسه الإنسان ويلتذ به حتى النشوة. ولكي يدرك أن الجمال الذي لا وصف له والذي يعجز الخيال عن إدراكه هو من حقائق الإيمان باليوم الآخر.

ولذلك: إذا فقد الإنسان الإحساس بالجمال تراه يذبل في محتواه الوجودي ويتحول الى كائن آخر له صفاته الخاصة به؛ صفات قد يترفع عنها حتى الحيوان!.

فكم من حيوان يترفع من العيش في الأماكن الموحشة والمقفرة والقذرة. ويرقى بوجوده الى العيش في الفضاء الرحب والهواء والشمس ومنابع المياه وأعالي الأرض وفروع الأشجار وغيرها.

أما هذا الكائن الذي يسمى «الإنسان» فبفقده لهذا الحس فإنه يتسافل إلى أدنى رتبه حيوانية يمكن تصورها؟! لأنه يأنس بكل شيء قبيح ويسخر كل طاقاته الى نشر هذا القبح، وكلما ظهر له قبيح تسافل الى ما هو أقبح منه فيكون نهمٌ[1] لا يشبع ومدبٌ لا يكل[2] إلى نشر الخراب والدمار.

---

(١) النهمة: بلوغ الهمة في الشيء، وقد نهم بكذا فهو منهوم، أي مولع به. (الصحاح للجوهري: ج ٥، ص ٢٠٤).

(٢) دب على الأرض دبيباً، وكل ماش على الأرض دابة ودبيب.

←

هذه الحقيقة صرّح بها القرآن ودلت عليها سيرة كثير من الناس على مرّ التاريخ.

فأما القرآن فقد وصف الفاقدين لهذا الحس الجمالي بصفة صنفت هذا الإنسان الى صنف حيواني جديد لم تعهده أبحاث المتخصصين في الأنثروبولوجيا! (علم الإنسان) فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

وهنا: يقدم القرآن الكريم صنفاً جديداً من الخلق يشتركون مع بعضهم بحواس بيولوجية كالإذن والعين وغيرها وهي تعمل من الناحية الوظيفية من الناحية الوظيفية أي أنها لم تكن قد تعرضت لتلف عصبي بعارض مرضي أو بغيره، فقد ولدوا وهم يمتلكون هذه الوظائف البيولوجية ولكنها لم تعمل من الناحية السيكولوجية فهي لا تتحسس الجمال ولا تأنس به.

فالعين موجودة ولكنها لا ترى الجمال ولا تأنس به وهي بهذه الحالة تكون عمياء لا تبصر، والأذن موجودة ولكنها لا تتحسس الجمال ولا تعيه فهي صماء لا تسمع؛ وبالنتيجة يتحول الإنسان الى مخلوق جديد عبّر عنه

والكلل: هو الثقل، تقول: كللت من الشيء، أي أعييت.

(الصحاح للجوهري: ج ٥، ص ١٨١).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

القرآن بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾؛ ثم يتسافل إلى ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ سبيلاً من الأنعام لينتهي به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾.

ولذلك: لم تكن أعينهم تبصر جمال تلك الوجوه التي «لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لإزالة»[1]، وآذانهم لم تكن تستمع القول كي تتبع احسنة ولذا ذهبوا الى تلك الوجوه ﴿وَوُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[2]، فأنسوا بها وأطمئنت قلوبهم بجوارها يستسيغون القبيح من القول ويفخرون بالرذيل من الفعل.

ولهذا الخلل في الحس الإنساني تراهم حاربوا أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام ولهذا الانحراف الخلقي مالوا الى أئمة الضلال فأنسوا بهم وانقادوا إليهم كقطيع من عسلان الفلوات[3] تتجمل بالموات وتطرب بالآهات الصادرة من أفواه الثاكلات.

هكذا هم أعداء تلك الوجوه التي اكتسبت من نور الله في الخلوات.

أما الجانب التاريخي الذي ترجمّ لنا بعض أحوال الرجال والنساء فيكشف عن أقبح الموجودات على الأرض فمن النساء من أنست بطعم كبد رجل ميت[4].

---

(١) مرّ بيان مصادر نزول آية المباهلة.

(٢) سورة عبس، الآية: ٤٠ - ٤١.

(٣) وهي الذئاب.

(٤) وهي هند زوجة أبي سفيان وأم معاوية؛ ذكرها ابن حجر العسقلاني بهذه الكلمات: «قال ابن إسحاق حدثني صالح بن كيسان قال: خرجت هند ←

ومن الرجال من أنس بذبح طفل رضيع وسحق جسد أبيه بحوافر الخيل ![1].

وهو يترنم بهذا القبح غير أبهٍ بصرخات أولئك الأطفال وهم ينظرون الى الجسد المشرق بأنوار الوجود الأزلي !!.

كيف لهذه الحوافر أن تطفئ هذه الأنوار، وأي ظلام قد عم الكون؛ وأي حمرة صبغت وجه السماء؟!.

أهو غضبٌ؟! أم دمع عن دمٍ؟! أم خضاب لجدائل شيبتها صراخات الجسد المرضوض؟!.

أنها أفعال أضرابٌ من البشر... جمع فيها كل الشر... فكانوا ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[2].

هذه الشخوص اللئيمة عرفها الحسين عليه السلام وعرّفها للناس ودلهم على قاعدة تشخصهم في المجتمع فقال: «فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً

والنسوة معها يمثلن بالقتلى يجدعن الآذان والأنف حتى اتخذت هند من ذلك حزاماً وقلائد وأعطت حزمها وقلائدها، أي: اللاتي كن عليها لوحشي جزاء له على قتل حمزة وبقرت كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها».

فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر: ج ٧، ص ٢٧٢، باب غزوة أحد، ط دار المعرفة.

(١) وهذا الطفل هو عبد الله الرضيع بن الإمام الحسين عليهما السلام والجسد هو جسد الحسين عليه السلام الذي سحقته الخيل بعد قتله.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٢.

جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم سمجاً قبيحاً مشوهاً تنفر منه القلوب، وتغض دونه الأبصار».

هنا:

الجمال عند الإمام الحسين عليه السلام يدور مدار الحس السيكولوجي بين السرور والنفرة؛ فكل شيء تراه العين فيحرك الحس النفسي فيضفي على القلب السرور فهو جمال يسر الناظرين.

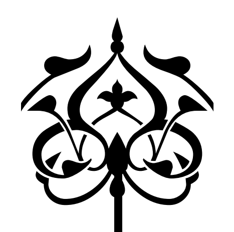
وكل شيء يراه الناظر فيحرك الحس النفسي الباعث على نفرة القلب فهو قبيح تغض دونه أبصار الناظرين.

إذن:

الجمال يقرره القلب بين السرور والنفرة فهما الملاك في تقيم الجمال والقبح في الأشياء فإذا كان للإنسان قلب لا ينفر أو يُسرّه. وله عين لا يبصر بها الجمال وله أذن لا يسمع بها الجمال فهو في حقيقته الوجودية أضل من الحيوانات. لأن الأنعام لتهتدي الى ما يقوّم حياتها من طعام ومسكن وأمنٍ وتزاوج كثيرٌ منها يرقى الى رعوّية ما يلد وكأنه يدرك أنه يقوم بحفظ نسله وتكثيره.

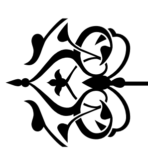
إلاّ هذا الكائن الجديد الذي عرّفهم القرآن بأنهم أضل من الأنعام؟!، لأنهم غافلون عن إمام زمانهم.

فأصبحوا أشكال سمجة وقبيحة ومشوهة، تنفر منها القلوب وتغض دونها الأبصار.



المبحث الخامس

الجمـــال في عاشــوراء
بـــين المـــشهد العـــام
والمــــشهد الخـــــاص



في هـذا البحـث ننقـل الى القـارئ الكـريم كيـف بـدا المـشهد العـام لكـلا المعسكرين في كربلاء وكيف ظهـرت ملامـح الجمـال وحقيقته عنـد كـل منهـما كي يحدد القارئ في حاضره ومستقبلة مكـامن الجمـال والقـبح فـما زالـت تلـك المشاهد تتجدد في الحياة لأنها تحمل نفس تلك المفاهيم والقيم.

ثـم ننتقـل بعـد ذلـك الى بيـان ملامـح الجمـال في المـشهد الخـاص لمعـسكر الإمام الحسين عليه السلام كـي يـدرك القـارئ إن هـذه الـشخوص الجميلـة والوجـوه الحسنة هي امتداد لتلك الوجوه التي خرجت لمباهلة نـصارى نجران وإن كانـت الأجـواء والظـروف الـتي أحاطـت بتلـك الوجـوه تختلـف مـع الأجـواء الـتي أحاطت بوجوه من خرجوا مع الإمام الحسين عليه السلام.

القسم الأول:

كيف بدا الجمال في المشهد العام لعاشوراء

لقد جمع يوم العاشر من المحرم سنة ٦١هـ على ارض كربلاء صورتين متضادتين ومختلفتين في كل شيء؛ ولولا هذا التضاد لما عرفت ملامح كل منهما، وظهرت معالمهما.

ففي معسكر سيد شباب أهل الجنة.

ترى الجمال الذي يقودك الى الجنة.

بل هنا.. ترى الجنة، وتشم ريحها، وترى قصورها، وحورها.

وهنا..كانت الأحداق إذا أسدلت عليها الجفون لا ترفع إلاّ في وجه سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلي أمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام وأهل بدر وحنين.

هنا.. السلف الصالح الذين سبقوا الى الجنة.

هنا.. حمزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار ذو الجناحين.

هنا.. الصحابة النجباء الذين قضوا نحبهم كعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وسلمان المحمدي وحجر بن عدي وغيرهم من شيعة آل محمد ﷺ.

وهنا من الصحابة من كان ينتظر ليلتحق برسول الله ﷺ وصحبه كأنس بن الحارث الكاهلي وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة.

هنا.. من رأى الحور العين كأنهنّ لؤلؤ مكنون، عرباً أتراباً في خيام مقصورات ينتظرن قدومه بفارغ الصبر لكونهنّ نساءه اللواتي قد زففنّ الى داره، وهو يرى جمالهنّ ويشم رائحتهن فقد قام وتزين لهنّ، فها هو العرس الذي يستحق أن يتزين له[1].

هنا.. من كُشِف لهم عن الحجب فرأوا منازلهم في الجنة.

هنا.. من تغير لونه الزنجي وعرقه الأفريقي الى أطيب من المسك يشم من مكان بعيد.

هنا.. الكوثر والساقي الذي على الحوض.

هنا.. من سقي من يد رسول الله ﷺ بكأسه الأوفى شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

هنا.. جبرائيل نعى وميكائيل واسرافيل بكى.

هنا.. جمال الدمع ينحدر كاللؤلؤ المنظوم على خدٍ لم يغيره حر الشمس وذرات التراب.

هنا.. الدمع رطب الشفتين وسقى الوجنتين.

هنا.. ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[2].

---

(١) رجال الكشي: ص ٥٣، طبع الهند، تجد فيه وفي غيره من المقاتل سرور أصحاب الحسين عليه السلام وشوقهم لأعراسهم في الجنة.

(٢) سورة المطففين، الآية ٢٤.

هنا.. القرآن والنبوة.

هنا.. العصمة والإمامة

هنا.. الحسين الشهيد.

هنا.. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

هنا.. من ماتوا على حب آل محمد ﷺ.

هنا.. الجمال في الموت بدا للناظرين فتسارعوا إليه كي ينالوا ما قاله سيد المرسلين ﷺ: «**من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة بالرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى**»[1] فكانوا كما قال سيد المرسلين ﷺ.

---

(١) العمدة لابن البطريق: ص ٥٤ مؤسسة النشر الإسلامي. سعد السعود لابن طاووس: ص ١٤١، ط منشورات الرضا - قم - . بحار: ج ٢٧، ص ١١١. الكشاف للزمخشري: ج ٣ شرح صفحة ٤٦٧، ط مصطفى البابي. تفسير الثعلبي: ج ٨، ص ٣١٤، ط دار إحياء التراث العربي. المحرر الوجيز لابن ←

أما في الجهة الثانية: حيث وقف الخصم، وعسكر الظلم ظهرت الصورة وهي مختلفة الملامح ومتناقضة المعالم مع الصورة الأولى. لكنها في الوضوح عند الناظر اللبيب لبينه.

فهنا.. ترى القبح الذي يقود الى النار.

بل هنا.. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾[1] منهم، ولهم مع جهنم علاقة فـ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[2] تسوقهم الملائكة إليها سوقاً شديد.

وهنا.. ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[3].

هنا.. حيث يقف من أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام.

عطية الأندلسي: ص ٣٤، ط دار الكتب العلمية. تفسير الرازي: ج ٢٧، ص١٦٥، ط الثالثة. تفسير ابن عربي: ج ٢، ص ٢١٩، ط دار الكتب العلمية. تفسير القرطبي: ج ١٦، ص ٢٣، ط مؤسسة التاريخ العربي. تفسير الثعالبي: ج ٥، ص ١٥٧، ط دار إحياء التراث العربي. فضل آل البيت للمقريزي: ص١٢٨، ط بتحقيق علي عاشور. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج١، ص ٥٩٣، ط دار الحديث بقم.

(١) سورة النازعات، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١٢.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧١.

هنـــــا.. ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1].

هنا وقف الأول والثاني والثالث قادة للبغي في جيش عبيد الله بن زياد.

هنا.. ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[2].

هنا من ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

هنا أيضاً تجد مسوخ البشر، بقايا هياكل، اختلطت فيها عظام الرذيلة ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

هنا.. كل فردفيهم أذا ظمأ يسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾[5].

وهنـا.. ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[6] طـول كـل سلسلة فيها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾[7] فيساقون ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[8].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤١.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١٦.

(٦) سورة غافر، الآية: ٧١.

(٧) سورة الحاقة، الآية: ٣٢.

(٨) سورة الحج، الآية: ٢١.

أذن :

هنـا.. وهنـاك : صـورتان لـ ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾[1].

وبين هذين العسكريين وبين هاتين الصورتين وقف رجل يفكر ويخير نفسه بين الجنة والنار. ولكونه حراً كما سميّ به من الأسماء. ولأنه كان يملك قلباً يفقه به، وعين يبصر بها الجمال، وأذن يسمع بها حفيف أشجار الجنة، وهبوب سموم النيران. ارتقى بنفسه وآلى أن يكون في رتبة أضل من الأنعام.

إذ كان حراً في فكره وبصره وسمعه فأختار الجمال والجنة حيث يقف سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

فهل من عاشق ولهان يتبع أثر الحر بن يزيد الرياحي في سيره إلى الجمال.. الى تلك الوجوه التي لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها.

وهل غيبها الموت؟! أم هي حاضره في يوم عاشوراء؟!

---

(١) سورة الحج، الآية ١٩.

القسم الثاني:

كيف بدا الجمال يوم عاشوراء في المشهد الخاص بالعترة عليهم السلام

كما كان لعاشوراء مشهدٌ عامٌ للجمال فإن لها مشهداً خاصاً أيضاً، ونقصد به الجمال الخاص بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل أبي طالب عليهم السلام.

فقد تناول المؤرخون في تدوينهم وسردهم لواقعة الطف الجمال الذي كان عليه أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم الحسين وولده وأبناء أخيه الحسن السبط ولاسيما ولده القاسم عليهم السلام، وأبناء علي أمير المؤمنين وهم العباس وأخوته عليهم السلام.

وكأن القرآن يعرض للناس مباهلة جديدة من حيث الزمن والخصم، لكن جمال الوجوه وحرمتها عند الله باقية فكيف كان جمالهم؟.

أولاً: صفة جمال القاسم بن الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام

يصف الراوي (حميد بن مسلم) خروج القاسم بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بهذا الشكل: «خرج إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر في يده السيف وعليه قميص وإزار و - في رجليه - نعلان»[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٤١، ط الأعلمي. مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٦٩، ط المطبعة العلمية بقم. الفتوح لابن اعثم: ج ٥، ص ١١٢، ط دار ←

والملاحظ في هذا الوصف من الراوي أمور عدة:

١ - أن هذا الجمال الذي رآه حميد بن مسلم في وجه القاسم بن الحسن عليهما السلام والذي عبر عنه بقوله: «كأن وجهه شقة قمر». يعود إلى الشبه الكبير بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج الشيخ الكليني رحمه الله، عن ابن مسكان، عن إسماعيل بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رئي في الليلة الظلماء رئي له نور كأنه شقة[1] قمر[2].

وعليه:

تكون صفة جمال وجه القاسم عليه السلام (كأنه شقة قمر) تعود الى نور وجه القاسم، لأن جمال القمر يكمن في نوره وبهائه.

الأضواء. مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ص ٥٨، ط مؤسسة دار الكتاب. شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧٩. الإرشاد للمفيد: ج ٢، ص ١٠٧، ط دار المفيد.

(١) ومعنى: «شقة قمر»: أن الشق، والشقة بالكسر: نصف الشيء إذا شق. (لسان العرب: ج ١٠، ص ١٨٢).

وقيل: «شقة قمر»، أي: قطعة قمر. (مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٩٥).

إلا أن المعنى الالسق نجده في تسمية شقائق النعمان، فقد قيل: النعمان هو اسم الدم، وشقائقه قطعه فشبهت حمرتها بحمرة الدم، وسميت هذه الزهرة شقائق النعمان وغلب اسم الشقائق عليها. (لسان العرب: ج ١٠، ص ١٨٢).

(٢) الكافي: ج ١، ص ٤٤٦، ط دار الكتب الإسلامية.

٢ ـ أن يرى (حميد بن مسلم) وهو الواقف في معسكر الأعداء ذلك النور المنبعث من وجه القاسم عليه السلام مع وجود ضوء الشمس ليدفع الإنسان الى التأمل كثيراً في تصور هذا الجمال الذي لم تستطع الشمس مع شدة ضوئها وقد أشرفت على الانتصاف نهاراً أن تحجب نور وجه القاسم عليه السلام.

٣ ـ من الملاحظ في قول الراوي أيضاً هو: وصفه لملابس القاسم؛ فقال: (وكان عليه قميص وإزار ـ وفي رجليه ـ نعلان).

وهذا يدلل على التفاتة الراوي إلى أن القاسم لم يكن معداً للحرب! لأنه لم يلحظ عليه لآمة الحرب كما هو حال كل من خرج للقتال؛ وهذا يشير إلى:

أ ـ أنه من الأصل مرفوع عنه الجهاد لكونه لم يبلغ الحلم.

ب ـ قلة وجود الناصر والمدافع عن حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما تطلب خروج الأطفال للدفاع عنها.

ج ـ امتياز العدو بالخسة واللؤم لقتلهم من لم يملك من مستلزمات القتال ما يحمي به رأسه ويصون بدنه. بمعنى أنه أعزل الرأس والجسد.

د ـ خروجه الى القتال بهذا الزيّ يعد شهادة على مرّ الليالي والأيام إن الحسين عليه السلام لم يأت بعياله وأحبته وهو يريد أن يقاتل، بل جاء بهم لأنهم الأداة التي يصلح بهم فساد الأمة بعد وفاة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم؛ فكانوا الجمر الذي كيّ بهم المرض.

وعليه: كان وجه القاسم عليه السلام في يوم عاشوراء يحاكي جمال تلك الوجوه التي لو أنها أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها.

ثانياً: صفة جمال علي الأكبر بن الإمام الحسين عليهما السلام

وهنا.. الواصف لجمال علي الأكبر عليه السلام هو حجة الله على الخلق. بمعنى: أنه عليه السلام منزه من الخروج عن الحد الشرعي؛ فوصفه لم يكن باعتباره والد يرى في ولده الجمال كحال أغلب الآباء؛ وإنما ينم عن واقع ثابت. بل هو مطابق لعين الواقع.

وعليه:

كيف بدا جمال علي الأكبر عليه السلام.

كي نتصور هذا الجمال ونراه بعين القلب قبل عين قوة الخيال فلابد من التعرف على جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !؟.

لأن علي الأكبر كان أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بل يدل لفظ المعصوم عليه السلام: «**وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه**». على التشابه السنخي وليس النسخي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أي: إنه كان عين جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث لا يختلف فيه اثنان من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن النظر إليه يطفئ لهب الشوق الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سنخ منه وليس نسخ فقد يكون النسخ يشابه الأصل بدرجات متفاوته لكن السنخ هو من عين الأصل.

وهذا يكشف عن مدى الألم الذي خلفه فقد علي الأكبر على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما على قلب أبيه الحسين عليه السلام.

أخرج الشيخ الطوسي رحمه الله عن الإمام علي بن موسى، عن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام - أنه قيل له -: «**يا علي صف لنا نبينا ﷺ كأننا نراه فإنا مشتاقون إليه**».

قال: «**كان النبي ﷺ أبيض اللون مشربا بحمرة، ادعج العينين، سبط الشعر، كث اللحية ذا وفرة، دقيق المسربة، كأنما عنقه إبريق فضه، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبته الى سرته كقضيب خيط إلى السرة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره.**

شثن الكفين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنما ينقلع من صخر، إذا أقبل كأنما ينحدر من صبب، إذا التفت التفت جميعا بأجمعه كله، ليس بالقصير المترد ولا بالطويل الممعط، وكان في وجهه تداوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرقه أخيب من ريح المسك ليس بالعاجز ولا باللئيم، أكرم الناس عشرة، والينهم عريكة، وأجودهم كفا، من خالطه بمعرفة أحبه، ومن رأه بديهة هابه، غرة بين عينية، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ»[1].

---

(١) الأمالي للطوسي رحمه الله: ص ٣٤١. الكافي: ج ١، ص ٤٤٣ عن الباقر عليه السلام. مسند زيد بن علي: ص ٤٢٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج ٢، ص٣٨٣. معاني الأخبار: ص ٨١. مناقب الإمام علي للكوفي: ص ١٩. مكارم الأخلاق للطبرسي: ص ١٢. المناقب لابن شهر: ج ١، ص ١٣٥. ←

وهـذا الجمـال وهـذه المعـاني كلـها كانـت ملاحظـة في شـخص علـي الأكبرعليه السلام ؛ أي: أنه كان في يوم عاشوراء أحد تلك الوجوه التي كانت تحاكي في جمالها تلك الوجوه التي خرجت لمباهلة نصارى نجران.

هل هناك من شابه النبي خَلقاً وخُلقاً؟

قد يتساءل البعض عن إمكانية حصول هذا المستوى من التشابه بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين علي الأكبر عليه السلام؟ وجوابه في أمرين.

الأمر الأول: فقد دلت الأبحاث العلمية وخاصة في مجال الهندسة الوراثية على أمكانية حصول نقل الصفات الوراثية كاملة من شخص الى آخر من خلال ما يختزنه الشريط الوراثي في كل جينة. بمعنى: أن الأسباب والمكونات الطبيعية التي أوجدها الله تعالى في الجينة الوراثية تمكنها من نقل هذا التشابه وبهذا المستوى.

البحار: ج١٦، ص١٤٤ وص ١٦٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٦٨٤. مسند احمد بن حنبل: ١ / ٩٦ و ١٠١ و١٩٠. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٥٩ / ٢٦٠، ط دار الفكر. مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٨، ص ٢٧٢. المصنف لابن أبي شيبة: ج ٧، ص ٤٤٥. الشمائل المحمدية للترمذي: ص ١٧، ط مؤسسة الكتب الثقافية. صحيح بن حيان: ج ١٤، ص ٢١٧، ط مؤسسة الرسالة. الشفا للقاضي عياض: ج ١ / ص١٠٦، ط دار الفكر. الاستذكار لابن عبد البرّ: ج ٨، ص٣٣١، ط دار الكتب العلمية. أسد الغابة: ج ١، ص ٢٥، ط اسماعيليان.

الأمر الثاني: قد دلّت الروايات: على أن هناك من شابه النبي ﷺ وهو ابن عمه جعفر بن أبي طالب عليه السلام. فقد «كان أشبه الناس خلقاً وخُلقاً برسول الله ﷺ»[1] وحصول هذا التشابه ما بين النبي ﷺ وابن عمه جعفر بن أبي طالب من الناحية العلمية أشد تعقيداً في حصوله ما بين النبي ﷺ وعلي الأكبر وذلك لأنه يرجع بالجينة الوراثية إلى رتبه أعلى باعتبار أن النبي ﷺ وجعفر بن أبي طالب عليه السلام أبناء عم.

بينما علي الأكبر حفيده وهذا أسرع في نقل الصفات الوراثية إليه لكونه فرع من الأصل.

إذن: كان جعفر بن أبي طالب عليه السلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول الله ﷺ[2].

ثالثاً: صفة جمال العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

لم يحدثنا التاريخ عن صفة جمال وجه العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بشكل دقيق كما هي عادة الوصافين؛ إلا إننا يمكن أن نرسم لهذا الوجه صورة خاصة من الجمال الذي يخطف الأبصار ويسمر العيون. فقد

---

(١) البحار: ج ٢٢، ص ٢٧٥. الاستيعاب لابن عبد البر: ج ١، ص ٢٤٢، ط دار الجيل. شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القارئ: ص ٥٣٩، ط دار الكتب العلمية. الإكمال في أسماء الرجال لابن ما كولا: ص ٣٧، ط مؤسسة أهل البيت. مقاتل الطالبين للإصفهاني: ص ٥٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

جمع الله تعالى في وجه العباس عليه السلام جميع حُسن بني هاشم في محيّاهم حتى لقب بـ «قمر بني هاشم»[1].

ويبدو أن العباس بن علي عليهما السلام حمل من جمال أبيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي شبه حسن وجه كأنه: «القمر ليلة البدر»[2] أو (البدر ليلة تمامه)؛ وحمل أيضاً من جمال جده عبد المطلب الذي خطف حسنه وجمال وجه بصر أبرهة حينما قدم لهدم البيت الحرام وهو ينظر إلى وسامة عبدالمطلب عليه السلام، فقد كان وسيماً جسيماً[3].

ولذلك فقد جمع العباس بن علي عليه السلام من المكونات الجمالية ما لا يملكها أحد من الرجال فكان جماله ليس له نظير حتى وصفه الواصف بقوله: «لقد كان العباس رجلاً وسيما جسيماً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض»[4].

(١) المناقب لابن شهر: ج ٤، ص ١٠٧. البحار: ج ٤٥، ص ٣٩. مقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصفهاني: ص ٥٦، ط مؤسسة دار الكتاب - قم. البحار: ج ٤٥، ص ٣٩. العوالم للبحراني - الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٨٢.

(٢) هذا الوصف وغيره ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب: ج ٧، ص ٢٩٧، ط دار الفكر؛ نقلاً عن ابن عبدالامير وقد مرّ بيان بقية المصدر في صفة جمال أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) تاريخ الطبري: ج ١، ص ٥٣، ط الأعلمي. تفسير أبي السعود: ج ٩، ص٢٠٠، ط دار إحياء التراث العربي.

(٤) مقاتل الطالبين للإصفهاني: ص ٥٦. البحار: ج ٤٥، ص ٣٩. العوالم - الإمام ←

والوسيم هو: الثابت الحسن كأنه قد وسم؛ وفلان وسيم، أي: حسن الوجه وسيما[1].

وأما المعنى الجمالي المراد من وصفه بركوب الفرس المطهم هو: إن المطهّم من الخيل: الحسن التامّ كلّ شيء منه على حدقه فهو بارع الجمال[2].

وهذا يدلل على أن أبا الفضل العباس عليه السلام كان يمتاز بميزة خاصة وهي الطول الفارع بحيث أن ركوبه على الفرس التامة الجميلة لم تمنع مع علوها قدمي أبي الفضل أن تخط في الأرض.

والمتأمل في هذا الوصف وهذه البسطة في الجسم يجد أن الله جعلها في شخص العباس عليه السلام لغرض التكافئ في ميزان القوى من الناحية العسكرية ولذلك حاول الشمر بن ذي الجوشن إخراج العباس وأخوته عليهم السلام من ساحة المعركة بكتاب الأمان الذي قدم به من عبيد الله بن زياد بحجة أن أمه من بني أسد. إلا إن هذا الأمر فشل.

الحسين عليه السلام -: ص ٢٨٢، ط مدرسة الإمام المهدي. لواعج الأشجان لمحسن الأمين: ص ١٧٩، ط مكتبة بصيرتي. معالم المدرستين للعسكري: ج ٣، ص١٢٩، ط مؤسسة النعمان. مستدركات علم الرجال للشاهرودي: ج ٤، ص٣٥٠. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ١٧٦، ط المطبعة العلمية - قم. أعيان الشيعة لسيد محسن الأمين: ج ٧، ص ٤٣٠.

(١) لسان العرب لابن منظور: ج ١٢، ص ٦٣٧.

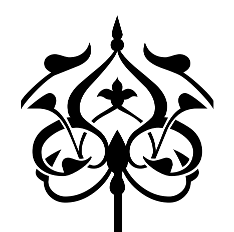
(٢) لسان العرب: ج ١٢، ص ٣٧٢.

وعليه فتلك هي إرادة الله في حفظ موازين القوى.

إذن: يضاف هذا الجمال الى تلك الوجوه التي كانت تحاكي بجمالها جمال تلك الوجوه التي لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها.

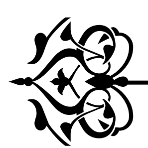
إلا إن الفارق بين يوم المباهلة في نجران المدينة والمقاتلة في طف كربلاء هو أن هذه الوجوه قد اختار الله لها أن تعفر برمضاء الطف لنصرة دين ربها.

أما صفة جمال الإمام الحسين عليه السلام فلقد مرّ ذكرها وبقي أن نقدم للقارئ الكريم صفة جماله عليه السلام وهو على رمضاء كربلاء وقد تعاهدت شمسها وغبارها وأسنة الرجالة ونصالها وشفار سيوف الفرسان وسنابك خيلها على تغير جماله وسلبه حسنه وبهاءه فما استطاعت ذلك.



المبحث السادس

مـــشاهد جماليـــة
مـــن عاشــــوراء



تعددة المشاهد الجمالية في ساحة الطف فهي بين جمال الشكل والهيئة كما مرّ بيانه، وبين جمال القيم الإنسانية والمواقف الحياتية.

وعندما نقول: «حياتية» فهذا يعني أن كل موقف من هذه المواقف أسس لحياة جديدة على الأرض؛ أو أزال عوامل الهلاك عن منبع من منابع الحياة على هذا الكوكب؛ ونقصد به الإنسان الذي إذا صلح، صلح به كل شيء.

ولذلك.. من العسير أن تحصى جميع المشاهد الجمالية في يوم عاشوراء؟! والسبب في ذلك: هو أن النظرة الى الجمال تختلف بين الناظرين، وتشخيص الجمال وتعينه يعتمد على الحس الوجداني عند الناظر فمنهم من يرى أن لا وجود لهذا الجمال؛ ومنهم من يرى أنه موجود في كل ذرة من تراب أرض الطف كشريط جينة وراثية اختزنت في مكنونها العديد من المشاهد الجمالية التي ظهرت في هذا اليوم. ومنهم من يرى أن الجمال في عاشوراء يدور حول الحسين عليه السلام كما يدور النيترون حول النواة فهو لا ينفك عنها لأنها مصدر طاقته وإلهامه في دورانه.

ولذلك: بدا مفهوم الجمال عند من ينظر الى عاشوراء مختلفاً أيضاً؟ لان عاشوراء لم تظهر بين مكوناتها صور للجمال فقط وإنما كانت مسرحاً ظهرت

عليه كل الصور الحياتية، ليدل بعضها على بعض فمعرفة الجمال وتشخصيه وفهمه يدل على القبيح وتشخيصه وفهمه.

ومن هنا:

مثلما كانت كربلاء فريدة في مصائبها ورزاياها وآلامها كانت فريدة أيضاً في جمعها لمشاهد الجمال والقبح. صور تقابلها صور، يدل جميلها على قبيحها؛ وقبيحها على جميلها؛ كما يدل قبح الظلم على جمال العدل، وجمال الصدق على قبح الكذب.

ولذا بدا فيها:

العلم والجهل؛ والتوحيد والشرك؛ والإيمان والنفاق؛ والحب والبغض؛ والجزم والحيرة؛ والشجاعة والجبن؛ وعلو الهمة ودناءة الهمة؛ والشهامة وعدم الغيرة والحمية؛ والاناءة والعجلة؛ والوقار والتعسف؛ وحسن الظن بالله وسوء الظن به.

وترى: الحلم والغضب؛ والعفو والانتقام؛ والرفق والعنف؛ والنصيحة والعداوة؛ والتواضع والكبر؛ والتسليم والبغي؛ والعفة والشره؛ والقناعة والطمع؛ والسخاء والبخل؛ والأمانة والغدر؛ والوفاء والخيانة.

وترى: الصدق وضده الكذب؛ والرضا والسخط؛ والصبر والجزع؛ والعبودية والحرية؛ والعزة والذلة وغيرها من المشاهد التي سجلتها ذرات أرض الطف في يوم عاشوراء، فكل فضيلة هي صورة جمالية تتبعها عين الناظر وتسكن إليها المشاعر.

ولذلك فقد تزاحمت الصور في يوم عاشوراء لدرجة تدفع بالناظر الى الحيرة في التقديم والانتقاء، فبريق بعضها يشغل القلب عن غيرها، إلاّ أنّ هذا لا يمنع من وضعها بين يدي القارئ الكريم. فلعله يرى جمالاً لم يراه المؤلف.

سحر جمال ليلة عاشوراء[1]

(١) سئل الإمام الصادق عليه السلام عن صوم تاسوعاء وعاشوراء؟ فقال: تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام أناخوا عليه وفرح ابن مرجانه وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه وأيقنوا أن لا يأتي إلى الحسين عليه السلام ناصر ولا يمده أهل العراق؛ بأبي المستضعف الغريب. وأما يوم عاشوراء فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله، أفصوم يكون في ذلك اليوم؟ كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين، ويوم فرح وسرور لابن مرجانه وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذريتهم وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة، فمن صامه أو تبرك حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوطاً عليه، ومن أدخر فيه إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده وشاركه الشيطان في جميع ذلك.
(وسائل الشيعة: باب ٢١ من الصوم المندوب).
وعن محمد بن عيسى بن عبيد عن جعفر بن عيسى قال سألت الرضا عليه السلام: عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانه تسألني! ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام. وهو يوم يتشاءم به آل ←

في ليلة عاشوراء حين خيم الظلام على الأرض وألقى بسكونه على الموجودات فأثقل دبيبها وابطئ حركتها حتى أجلسها في بلاط سلطانه تتأمل رحمته وتترقب سطوته فبدت وكأنها تنتظر!؟ ربما هي تنتظر قدوم من يبادلها الانتظار؛ أو ربما هي تترقب من يخفف عنها وحشتها فيقص لها قصصاً كتلك التي تحكيها الجدات لأحفادها؛ أو ربما كانت هذه الموجودات بما فيها الإنسان تستمع لنجوم السماء وهي تحكي لهم بومضاتها الزرقاء والبيضاء قصصاً عن عالمها العجيب واللا متناهي لتأخذ فكر الإنسان وخياله بعيداً الى حيث تقف هذه النجوم وهي شاخصة على سكان الأرض ترقب تحركاتهم حينها راحت الأفكار تعانق الخيال وتعرج به الى ومضات تلك النجوم لتبادلها السمر وتحدثها عن عالم الإنسان فهو أيضاً يحمل قصصاً عجيبة كتلك القصص التي ترويها النجوم لأهل النجوم لأهل الأرض.

لكن الفارق بين القصتين أن الأولى دارت أحداثها في عالم السماء وكان أبطالها ومضات النجوم التي تخبر عن الخير والأمان والطهر. والثانية كانت أحداثها في عالم الأرض وكان أبطالها مجاميع من بني البشر وهي تمارس الشر والخوف والرجس وتنشر الرماد في ينابيع المياه وتغرس الآهات في ابتسامات

محمد ﷺ ويتشاءم به أهل الإسلام، واليوم الذي يتشاءم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به.

(الكافي: ج٤، ص ١٤٦، ط دار الكتب الإسلامية. التهذيب: ج٤، ص ٣٠١، ط دار الكتب الإسلامية).

الأمهات لتنبت في نظرات الأطفال أشجاراً جذورها في الصحائف البيضاء وفروعها في أناملهم الرقيقة لتغدوا كأعجاز سعف النخيل تلحتف الليف وتزدان بسلها.

وفي ليلة من تلك الليالي التي يسامر فيها خيال الإنسان ومضات النجوم بدأت حكاية جديدة لكنها ليست من الخيال وإنما من الحقيقة ولذا اشتركت النجوم الإنسان في مشاهدة أحداثها وسماع أصواتها فها هي المقدمات قد أعلنت جرس البدء في الحكاية فقد تجمعت خيول كثيرة في أرض الطف أحاطت بها رجال مختلفة في الأعراق والألوان والميول والهوى والعبادة، وهي مع هذا مجتمعةٌ لقتل رجل واحد وإبادة من تعلق به من أبناء وأهل وأصحاب.

حكاية بدا فيها كل شيء مختلف حتى جرس البدء فقد علق في أعناق خيول كثيرة لتصدر أصواتاً عديدة تعلن للشجر والحجر أن هاهنا ستولد أمة جديدة.

ورفع الستار لبدء عرض الحكاية فبدا المشهد غريباً ومختلفاً كاختلاف الليل والنهار فكل منهما ينبئ عن عالمٍ مناقض للآخر.

في المشهد الأول: كان الرجال قد تجمعوا لصبغ الوضوء والاغتسال للشهادة والتهيء للقاء أسلاف الأحبة فبدوا كأنهم أعمدة بنيانٍ مرصوص صافين أقدامهم يتلون كتاب الله يرتلونه ترتيلا، عيونهم شاخصة في السماء ترقب ساعة اللقاء وجفونهم غدت دفتين لنبع جاري يرطب الخدود المعفرات بالسجدات. يخالهم الناظر إليهم كأنهم اسنتاً لرماحٍ شامخات.

حتى إذا طوت ليلة العاشر جدائلها وأسفرت عن جيدها كربلاء وقد زانه عقد الصافنات[1] بدت الرجال كليوث روابض تندك لزئيرها الجبال الراسيات. لتعلن أن هاهنا الحياة.

وفي المشهد الثاني: بدت القداح الملوثات بشراب المعصرات تصبغ أفواه خشب مسنده، ترهق وجوههم قترة[2]، وهم وقوف صافين أبدانهم كأنهم ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ عيونهم محمّرة قد خالطها السكر والسهر والشر ووجوههم بالذل مغبره وأوافهم مشترّه[3] وبالبخر[4] مغفرّة تلمظ ألسنتها من دماء الصالحين. حتى إذا كشر الليل عن نواجذه وقد ائتزت[5] لنهب تراث الأنبياء قوارضه ولتعلن بصفيرها أن هاهنا مجاميع الموات. فكانت هذه البداية للحكاية.

المشهد الأول:

جمال الصحبة في عاشوراء

للصحبة، والمصاحبة جمال معهود عند المتصاحبين، لكن كيف بدا جمال الصحبة في عاشوراء؟ وكيف رأته عيون من تجلى فيه جمال المصطفى

---

(١) الصافنات: الجياد والخيل.

(٢) القتر: جمع القترة، وهي الغبار، ومنه قوله تعالى: ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٤١) سورة عبس.

(٣) المشترة: وهي الحيوانات التي تعيد معدتها الطعام الى الفم لتعيد مضغه من جديد فيكون همها أكبر التهام أكبر كمية من العلف أثناء رعيها.

(٤) البخر: رائحة كريهة تنبعث من الفم.

(٥) أزّت القدر وائتزّت إذا اشتد غليانها. (لسان العرب لابن منظور: ج ٥، ص٣٠٧).

وحسنه صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: «**أني لا أعلم أصحابا خير ولا أوفى من أصحابي**»[1] فكانت صورة جمالية خاصة في الصحبة لم ير مثلها لا قبل الحسين عليه السلام ولا بعده؛ فمن قد وفى بهذا القدر من الوفاء كما وفى أصحاب الحسين عليه السلام؟ أنه جمال خاص بعاشوراء.

فمشاهده تجلت للناظرين على مدى الدهر بحسنها وسحر جمالها، فكان من جميل جمال الوفاء فيها أن يقف أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهو عمرو بن قرظة الأنصاري عليه السلام يستأذن الحسين عليه السلام، فيأذن له عليه السلام، فيقاتل قتال المشتاقين الى الجزاء، والمبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي الى الحسين عليه السلام سهم إلا اتقاه بيده، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل الى الحسين عليه السلام سوء حتى أثخن بالجراح، فالتفت الى الحسين عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله أوفيت؟! قال: «**نعم أنت إمامي في الجنة فأقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني السلام، وأعلمه إني في الأثر**». فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه[2]. فهل شهدت أرض جمالاً مثل هذا الجمال في الصحبة.

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد (طاب ثراه): ص ٢٣١، ط مكتبة بصيرتي بقم. الكافي في التاريخ: ج٢، ص ٥٥٩، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) اللهوف: ص ٤٦. مثير الأحزان: ص ٦١ وفيه عمر بن أبي قرظة. بحار الأنوار: ج٤٠، ص٢٢. العوالم: ج١٧، ص ٢٦٥. أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٠٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٤٢.

المشهد الثاني:

جمال الأهل في برهم ووصلهم

كثيرُ ما يجمعنا البيت وتلفنا لحظات الأنس بالأهل، صورٌ هنا وهناك من الجمال تشغلنا مع ساعات الليل والنهار فتحجب بحسنها وأنسها عنا الجمال الحقيقي للأهل. أو فلنقل: أنها تحجب عنا الجمال الذي بدا للأهلِ في عاشوراء.

هذه الصورة الجمالية الكبرى بدت في كربلاء حين بروا بسيد الأهل وكبير البيت وعموده.

واللطيف في هذه الصورة الجمالية أنها كانت انعكاساً لجمال أبهر الناظرين فكان كالشمس تتبعها الكواكب لتعكس نورها...

أنها جمال رعوّية الحسين عليه السلام، وجمال كبير الأهل وراعيهم لعياله. فلاحظ هذا الجمال في قوله عليه السلام وهو يخاطب أصحابه وأهل بيته: «**هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا**[1]**، وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من أخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما خلبوكم**»[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص ٣١٥، ط دار الكتب الإسلامية، الإرشاد: ج١، ص٢٣١، ط مكتبة بصيرتي، الكامل في التاريخ: ج٢، ص ٥٥٩.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ج ٥، ص ١٠٥، الطبري: ج ٣ ص ٣٦٥، أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٠٠.

وفي رواية المجلسي، قال عليه السلام: **«وهذا الليل فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سواده فإن القوم إنما يطلبوني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن خلب غيري»**[1].

فهذا الجمال الذي تألق في الصحبة والأبوة والرعويّة من الإمام الحسين عليه السلام انعكس على تلك الشخوص الزواكي كما تمد الشمس الكواكب بنورها لينعكس منها كمصابيح تتلألئ للناظرين.

فانظر إلى جمال موقفهم:

فبدأ القول العباس بن علي عليهما السلام، فقال له: لم نفعل ذلك؟ آلنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً!.

ثم إنّ إخوته وأبناء الحسين عليه السلام وبني أخيه الحسن عليه السلام، وأبني عبد الله بن جعفر - محمد وعبدالله - تكلموا بهذا ونحوه.

فقال الحسين عليه السلام: **«يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا قد أذنت لكم»**.

قالوا: فما يقول الناس! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا! والله لا نفعل، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك! قبح الله العيش بعدك!.

---

(١) البحار: ج ٤٤، ص ٣١٥.

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك ولّما نعذر الى الله في أداء حقّك! أما والله حتى اكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك!.

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي: «والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك والله لو علمت أني أقتل ثم أحرق حيا ثم أذّر، يفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقي حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»[1].

والأجمل من هذه الأقوال هو ترجمتها على أرض الواقع في صبيحة يوم العاشر، فقد كانوا يتسابقون في الدفاع عن إمامهم عليه السلام ويتسارعون في نصرته؛ وكأنهم خلية نحل تفانت في حب يعسوبها[2].

أنها مشاهد تألقت فيها مفاهيم كثيرة، وتفجرت منها منابع فكرية عديدة، فكانت منهلاً ومورداً يقصده الظمأن ويأنس به الولهان.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٠٠ - ٤٠١، ط منظمة الأعلام الإسلامي، الإرشاد: ص ٢٣١، تاريخ الطبري: ٣/٣١٥، الكامل في التاريخ: ج٢، ص ٣١٥، العوالم: ج ١٧، ص ٣٤٤، وقعة الطف: ١٩٨.

(٢) اليعسوب: هو أمير النحل. (لسان العرب، مادة عسب: ج ١، ص ٣٤٢).

المشهد الثالث:

جمال الزوجة في وقاية الزوج وصونه

في عاشوراء بدا مشهد جمالي آخر يرسم مفهوماً خاصاً لوجود الزوجة في هذا اليوم الذي امتحن فيه كل من حمل مسؤولية أسرية واجتماعية كالأب، والابن، والزوج، والزوجة، والأم.

فكان من بين هذه المشاهد «الزوجة» فقد أظهر وجودها مفهوماً جمالياً خاصاً ألا وهو «الوقاية».

وخذ على سبيل المثال الواقعي من عاشوراء زوجة زهير بن القين عليه السلام التي كانت سبباً في وقايته وصونه من الوقوع في خطئ لا يصلحه شيء؛ حينما جاءه رسول سيد الشهداء عليه السلام وهو يدعوه للحضور؛ فاحتار زهير بين الاستجابة لهذه الدعوة وبين الرفض. ولم يدري أي الأمرين أصوب خوفاً من الوقوع في أمرٍ ليس فيه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم رضا.

ولكن ما أسرع أن أتاه الفرج على يد زوجته التي أخرجته من هذه الحيرة وأنقذته من خيار يؤدي به الى خسران الدنيا والآخرة، فقد أسمعته رضوان الله عليها كلمات قطعت عليه التردد وأحرزت عنده القطع بأن الذهاب الى الحسين عليه السلام هو الذي فيه تحصيل لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ قائلة له وقد بدا عليها التعجب من حيرته: «سبحان الله، يبعث إليك ابن رسول الله فلا تجيبه»!!؟.

فقام الى الحسين عليه السلام فلم يلبث أن انصرف، وقد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه فقطع، وضرب الى لزق فسطاط الحسين عليه السلام ولحق بالحسين عليه السلام[1].

وكان الإمام الحسين عليه السلام قد ذكّره بحديث الصحابي سلمان المحمدي رضوان الله عليه حين خرج معه في غزوة بلنجر التي غلبوا فيها العدو، ففرحوا بنصرهم فالتفت سلمان الى زهير قائلاً له: «**إن أدركتم سيد شباب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فأستودعكم الله**»[2].

ولذا نرى زهير قد انقلب من الحيرة الى اليقين بأن هاهنا تحصيل السرور الأعظم لأن فيه رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٤٦، ط إحياء الكتاب العربي بالقاهرة.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد رضي الله عنه: ج٢، ص٧٣، ط دار المفيد. مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٣٤، ط المطبعة الحيدرية. بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٤، ص٣٧٢. العوالم للبحراني - الإمام الحسين عليه السلام -: ص٢٢٢ ط مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف). تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٩٩، ط الأعلمي. الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٢، ط دار صادر. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص٧٥، المطبعة العلمية - قم -.معجم ما استعجم للبكري الأندلسي: ج١، ص٢٧٦، ط عالم الكتب - بيروت. الدر النظيم لأبي حاتم العاملي: ص٥٤٨، ط مؤسسة النشر الإسلامي بقم. المجالس الفاخرة لشرف الدين: ص٢٢١، ط مؤسسة المعارف الإسلامية.

المشهد الرابع:

جمال المصيبة في الصبر

من مظاهر الجمال في عاشوراء أن تجد جمالاً في محل يعتقد أنه فُقد فيه الجمال لكثرة ما احتوى من الحزن والألم والمصائب. حتى تكونت لدى أغلب الناس صورة غالبها الوحشة التي اسدلت حجاباً على جمال أهل الجمال والفضائل سلام الله عليهم أجمعين.

ولذلك.. ظهرت في عاشوراء مواقف عديدة أقترن فيها السكون والاضطراب في آن واحد فكانت نموذجاً قلما تجد له مثيلاً في الحياة؟ لأن الباعث الذي يحرك الحس الوجداني للإنسان فيظهر معه الاضطراب، يختلف عن الباعث الذي يحرك الحس الوجداني للإنسان فيظهر معه السكون أو السكينة.

فالبواعث للمشاعر الإنسانية مختلفة ومداليلها مختلفة أيضاً؛ فالقلب لا يجتمع فيه إلا انعكاس واحد، ولا يُظهر إلا مدلول واحد، فأما السرور وإما النفرة.

لكنها عاشوراء.. هي هكذا فيها كل شيء فريد.

ومن هنا:

كان الجمال بمفهومه العاشورائي قد تجلى للأذهان في مواضع عديدة منها: جمال المصيبة! والمصيبة بمدلولها النفسي والاجتماعي موحشة ومؤلمة ولذلك ترى الإنسان ينفر منها ويخشى وقوعها ويحاول تفاديها أما بالتوخي والحذر؛ وأما باستشارت العقلاء، وأما بالالتجاء الى الدعاء والصدقة.

إلاّ أنها إذا وقعت فصاحبها أمام خيارين: أما الصبر وأما الجزع.

فالصبر عند كثير من الناس ممدوح وطيب وجميل ؛ إلا أن الكثير أيضاً غاب عن ذهنه أين يكمن الصبر.

أو فلنقل : إذا أُذن للصبر أن يتجسد بهيئة يرى جمالها ، فأين يمكن أن يظهر ؟ !

ربما يتجلى في المصائب والمحن ، وربما يظهر عند مجاهدة النفس وصدها عن هواها ، وربما يتجلى حسنه في كتم الشوق للحبيب وربما في غيرها.

أما العلة في ذلك الظهور فهي : إن صاحب المحنة إذا كان مؤمناً لا يرى محنته من حيث بواعث الألم والحزن ؛ وإنما يراها من حيث الصبر عليها ؛ فهو ناظر الى ذلك الحسن الذي بدا في قلب أيقن أن المقدّر والمفرّج للبلاء هو الله عزوجل.

فكلما كان اليقين أعظم كلما كان لجمال الصبر في المحن والمصائب أجمل وأحسن فهو يأنس الناظر إليه ؛ ويأسيه على أمرٍ يراه الناس موحشاً ، وهو يراه جميلا ؟ لأن مفهومه للجمال يختلف عنهم.

ولذا.. لم يشهد التاريخ محنة ورزية كانت أعظم مما شهدته عاشوراء فيما لو قيست مع مصائبها الى عظيم مقام صاحب المصيبة عليه السلام عند الله عزوجل.

ولم يشهد التاريخ أيضاً صبراً كالصبر الذي تحمّله سيد الشهداء عليه السلام ، ويكفي من الشواهد على ذلك قوله عليه السلام لما ذبح ولده الرضيع وهو في حجره : **«هوّن ما نزل بي انه بعين اللّه تعالى»**[1].

ولكونه بعين الله تعالى فقد تجلى جمال الصبر أرقى درجات التجلي فكان هو المصدر الذي هوّن نزول المصيبة.

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، للسيد المقرم رحمه الله : ص ٢٨٨ ، ط مؤسسة النور ـ بيروت.

المشهد الخامس:

جمال الملحمة في الثّبات

ذكر أصحاب اللغة في بيان: «الملحمة» بأنها الحرب ذات القتل الشديد[1].

ولو تصفحنا تاريخ الأمم وبحثنا عن الملاحم التي أدت الى انهيار الدول أو انكسار الجيوش ونظرنا إلى القتل الشديد الذي سجلته هذه الملاحم في ذاكرة الشعوب؛ لوجدنا أن أشد الملاحم قتلاً هي ملحمة الطف.

والعلة في ذلك هي: أن يجتمع أكثر من ثلاثين ألفاً[2] بين فارس وراجل على مجموعة من الرجال لم يبلغوا المئة ومعهم النساء والأطفال فيطبقوا عليهم يقاتلونهم أشد القتال ولم يستثنوا حتى الطفل الرضيع ذي

(١) لسان العرب لابن منظور: ج١٢، ص٥٣٧.

(٢) الأمالي للصدوق: ص١٧٧، ط مؤسسة البعثة، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٨، ط المطبعة الحيدرية. مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٢٧، ط مؤسسة النشر الإسلامي. البحار: ج٤٥، ص٢١٨، ط مؤسسة الوفاء بيروت. اللهوف لابن طاووس: ص١٩، ط أنوار الهدى ـ قم. الخصائص الفاطمية للكجوري: ص٤٣٣، ط انتشارات الشريف الرضي ـ قم. المجالس الفاخرة للعلامة شرف الدين: ص١١٩.

الستة أشهر؛ بل أعظم من ذلك سحق جسد أبيه بحوائر الخيل[1]!. أمام مرأى بناته وأخواته!.

فأي ملحمة بعد ذلك أعظم من ملحمة الطف.

وفي هذه الصورة الموحشة والقاتمة كقتامت الدماء الممزوجة بالرمال ووهج أشعة الشمس تلئلئت صورة للحسن والجمال ألاّ وهي ثباتُ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، حتى أعيوا هذه الجموع، لدرجة أخذ عمرو بن الحجاج - وهو أحد قادة الجيش - يستغيث بعد أن يأس جيشه وفرسانه من فتح ثغرة في صفوف هذه الثبيت[2] الذين لا يهزمون حتى قرب نصف النهار، فنادى - عمرو بن الحجاج - بأصحابه: أتدرون من تقاتلون؟. تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم، والله لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم!.

---

(١) الإرشاد للمفيد: ج٢، ص١١٣. الكامل في التاريخ: ج٤، ص ٨٠. أعلام الورى: ج١، ص٤٧٠. الدر النظيم لابن حاتم: ص٥٥٨. شرح منهاج الكرامة للميلاني: ص٥٥٨. تاريخ الطبري: ج٦، ص ١٦١. مروج الذهب: ج٢، ص٩١. الخطط المقريزية: ج٢، ص٢٨٨. تاريخ الخميس: ج٣، ص٣٣٣.

(٢) الثّبتْ والثّبيتُ: الفارس الشجاع.
لسان العرب: ج٢، ص١٩.

فقال عمر بن سعد - القائد العام للجيش - : صدقت، الرأي ما رأيت، أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم ولو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم[1].

وهذا القول له دلالة واضحة على إمكانية غلبة هذه الفئة القليلة التي أحاط بها أكثر من ثلاثين ألفاً وعلى هزمهم شر هزيمة، بل يفيد قول قائد الجيش «ولو خرجتم عليهم وحداناً لأتوا عليكم»، عن قدرة أصحاب الحسين من القضاء على هذا الجمع الغفير فيما لو أخذوا يبارزونهم فرادى.

ولذلك نراهم كم من مرة ومرة حملوا على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من كل جانب وخاصة فرق الفرسان، ومع ذلك لم يتمكنوا من كسر صفوفهم والنيل من ثباتهم.

يقول الطبري[2]: وقاتلهم أصحاب الحسين - عليه السلام - قتالاً شديداً وأخذت خيلهم تحمل، وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً وأخذت لا تحمل على

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص١٠٤٥، ط دار ومكتبة الهلال. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٦٧. ط دار صادر. ولم يوردا لفظ (أهل البصائر) وأوردها السيد المقرم في مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٤٨.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن خال، وقيل يزيد بن كثير بن غالب الطبريّ، ويكنى بأبي جعفر، ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ وقد جاوز الثمانين، وله تصانيف عديدة في الفقه والتفسير والحديث والقراءة وغيرها. راجع: «وفيات الأعيان»: ج٤، ص١٩١، ط دار صادر، معجم المؤلفين لكحالة: ج٣، ص ٨٩٥، ط مؤسسة الرسالة.

جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس، وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب بعث عمر بن سعد، عبد الرحمن بن حصن، فقال: أما ترى ما تلقي خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة! أبعث إليهم الرجال والرماة.

فدعا عمر بن سعد، الحصين ابن تميم، فبعث معه المجففة[1] وخمسمائة من المرامية، فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم[2].

إذن: هو مشهد تجلى فيه جمال ما بعده جمال في تلك الملحمة التي تلألأت فيها فعال تلك الفرسان، وأي حسن شغل القادة والجند وهم يشاهدون هذه الفحولة والثبات ورباطة الجأش التي تزين بها أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام.

---

(١) قال الطبري: وكان الحصين بن تميم على شرطة عبيد الله بن زياد فبعثه الى الحسين عليه السلام فولاه عمر مع الشرطة المجففة ليزيد بن معاوية. (الطبري في تاريخه: ج ٤، ص٣٣٦).
والمجففة، هي: صنف من أصناف الدروع يوضع على الخيل ليقيها النبل، فهو أشبه ما يكون بالفرقة المدرعة، فتمسى الخيل التي عليها هذا الدرع بـ (المجففة) والتي لم تكسى به تمسى: (المجردة). وقد استخرجنا هذا المعنى من خلال حديث ابن الأثير في ذكره لخروج الجنيد لغزو طخارستان. (الكامل لابن الأثير: ج ٥، ص١٦٤).

(٢) الكامل لابن الأثير: ج٤، ص٦٨. تاريخ الطبري: ج٣، ص١٠٤٦. معالم المدرستين للعسكري: ج ٣، ص ١٠٥.

المشهد السادس:

جمال الابتلاء في الاستبشار بالعاقبة

جمعت عاشوراء أنواع عديدة من الابتلاء حتى عُدت مثالاً يتأسى به أهل الابتلاء والمحن لأخذ العبرة والعون الذي يمد النفس بالصبر والتحمل.

إلاّ أن السؤال الذي يرد على الذهن هو: من أين أخذ أصحاب الحسين عليه السلام هذا المدد والعون وقوة التحمل على جميع أنواع ابتلاءات عاشوراء.

والجواب: هو أن مستوى اليقين لهؤلاء الرموز يختلف عن المستوى الذي عليه عامة المؤمنين عند ابتلاءهم بأحد أنواع البلاء.

ويمكن للناظر الى كربلاء أن يدرك هذا المعنى من خلال الواقع العملي الذي كان عليه هؤلاء الأبطال؛ فلم ترهبهم كثرة الجيوش التي أحاطت بهم من كل جهة، ولم تحبط من هممهم؛ ولم تتمكن من زعزعت نياتهم التي بدت كأنها الجبال الرواسي.

بل أنهم أعطوا صورة مخالفة لما عليه المقاتلون في جميع ساحات القتال؛ فلم يسجل التاريخ لنا أن بعض ممن خرجوا للحرب وتجهزوا لها أن قاموا وتزينوا كما يتزين الرجل ليلة زفافه، ويتهيىء للدخول على أنسه وعرسه.

فقد روى أصحاب المقاتل: «أن برير بن خضير الهمداني - المقرئ - هازل عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: ما هذه ساعة باطل؟!.

فقال برير: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، ولكني مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلاّ أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة.

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحصين الهمداني ما هذه ساعة ضحك:

قال حبيب: وأي موضع أحق بالسرور من هذا؟ ما هو إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم فنعانق الحور»[1].

وأي موضع تجلى فيه جمال أهل الابتلاء فغدوا مستبشرين بما هم لاقون وموقنين بحسن العاقبة التي جعلها الله للمتقين؛ فما هي إلاّ لحظات وسيكونون في أعراسهم ودورهم في الجنة التي لطالما اشتاقوا إليها واشتاقت إليهم.

تجري الطلاقة في بهاء وجوهم	**أن قطبت فرقاً وجوه كماتها**
وتطلعت بدجى القتام أهلة	**لكن ظهور الخيل من هالاتها**
فتدافعت مشي النزيف الى الردى	**حتى كأن الموت من نشواتها**
وتعانقت هي والسيوف وبعد ذا	**ملكت عناق الحور في جناتها**[2]

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٢٣ - ٢٢٤، ط مؤسسة النور- بيروت.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٢٤، والأبيات للسيد محمد حسين

المشهد السابع:

جمال الحميّة في صون الحُرم

من أجمل صفات الرجولة هي الغيرة والحمّية؛ بل تكاد أن تكون أهم الدلائل التي تدل على رجولة من اتصف بالذكوريّة؛ بمعنى آخر: ليس كل من كان ذكراً كان رجلاً، فكم من ذكر لا يحمل من ذكوريته إلا الوظيفة الحيوانية. بل أن البعض - وخاصة في هذا العصر- قد احتملوا من الميوعة ما تترفع عنها النساء.

ولذلك... نجد أن الأحاديث الشريفة جاءت لتحفظ الرجولة في المؤمن، وتظهر جمالها وزهوها في الغيرة والحمية.

فقد أخرج الشيخ الكليني قدس سره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كان إبراهيم عليه السلام غيورا وأنا أغير منه، وجدع الله أنف من لا يغار من المؤمنين والمسلمين**»[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: «**إن الله تبارك وتعالى غيور يحب كل غيور ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها**»[2].

الكيشوان رحمه الله.

(١) الكافي: ج٥، ص٥٣٦، ط دار الكتب الإسلامية - طهران. وسائل الشيعة: ج٢٠، ص١٥٣، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم.

(٢) المصدر السابق.

وعن الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أن الغيرة من الإيمان**»[1].

وقد تسابق أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في الملمات للدفاع عن القيم وحفظ الحُرم والمقدسات وتمايزوا فيما بينهم في أيهم الأسرع تلبيتاً للذب عنها، لأن ذلك يكشف عن مستوى حميتهم وغيرتهم التي فيها جمال رجولتهم ورسوخ إيمانهم.

وهو ما تجلى كمشهد جمالي من مشاهد الجمال في عاشوراء، لما استوحشت مخدرة بيت النبوة زينب عليها السلام في ليلة عاشوراء وهي تنظر الى تلك الجيوش التي زحفت نحو الحسين عليه السلام وقد أحاطت به من كل جانب.

فتوجهت عليها السلام بالسؤال الى أخيها الحسين عليه السلام لما دخل عليها - حينما كان في جوف هذه الليلة يتفقد التلاع والعقبات؛ فتبعه نافع بن هلال الجملي رضي الله عنه، فلما دخل الحسين خيمة زينب ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظر - خروج الحسين عليه السلام - سمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم؟ فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة؟.

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل الى محالب أمه. قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعته منه ومن أخته زينب

(١) وسائل الشيعة للعاملي: ج١٤، ص ١٠٨، برقم (٢٥٢٨٩).

ـ عليها السلام ـ. قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة، قلت: إني خلفته عند أخته وأظن النساء افقن وشاركنّها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهم؟. فقام حبيب ونادى: «يا أصحاب الحميّة وليوث الكريهة». أي: الحرب، وأنظر أخي المؤمن إلى تلبيتهم لهذا النداء والى جمال رجولتهم وتألق غيرتهم وبريق حميتهم.

فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية، فقال لبني هاشم ارجعوا الى مقركم لا سهرت عيونكم.

ثم التفت الى أصحابه وحكى لهم ما شهده وسمعه نافع فقالوا بأجمعهم: والله الذي منّ علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطب نفساً وقرّ عيناً؛ فجزاهم خيراً.

وقال: هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن.

فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذه صوارم فتيانكم آلوا ألاّ يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم.

فخرج النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرائر أمير المؤمنين عليه السلام[1].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص ٢٢٦ - ٢٢٧، ط مؤسسة النور ←

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.

المشهد الثامن:

جمال الحيرة في أتباع الحق

من المشاهد الجمالية التي شهدتها عاشوراء هي جمال الحيرة!!، والحيرة هي: اختلاط الأمور على الحائر فلا يدري أيها يقصد؛ «ورجل حائر: إذا لم يتجه إلى شيء، والمستحير: سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه؛ والحائر، تجمع الماء»[1].

ومنه سمي الحائر الحسيني لتجمع الماء حوله حينما قام المتوكل العباسي بحرث أرض الطف وفتح الماء فيها كي تضيع معالم القبر الشريف إلا ان الله يأبى إلا أن يتم نوره؛ فحار الماء[2]، ووقف يطأطئا برأسه معتذراً من صاحب القبر الشريف.

بيروت. موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام لمعهد باقر العلوم: ج١، ص١٩٢، ط نور السجاد عليه السلام بقم. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٩٣. المجالس الفاخرة شرف الدين: ص٢٣١، ط مؤسسة المعارف.

(١) الصحاح للجوهري: ج٧، ص٦٤٠، ط دار العلم للملايين - بيروت.

(٢) تاريخ الطبري: ج٧، ص٣٦٥، ط الأعلمي. الكامل في التاريخ: ج٧، ص٥٥، ط دار صادر. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٣٣، ص٧٣٥. الآمالي للشيخ الطوسي: ص٣٢٩، ط دار الثقافة قم. مناقب آل أبي طالب لابن شهر: ج٣، ص٢٢١.

وفيه يقول ابن السكيت :

بالله إن كانت أمية قد أتت — قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله — هذا لعمرك قبره مهدوما

اسفوا على أن لا يكونوا — شاركوا في قتله فتتبعوه رميما[1]

ولذلك : قد يستغرب القارئ من وجود جمال في الحيرة!! ولكنه لو نظر إلى موقف الحر بن يزيد الرياحي عليه السلام فإنه يدرك كم للحيرة من جمال خاطف فيما لو انتهت بأتباع الحق. إنه جمال لا يأنس به إلا صاحبه.

هذا الأنس عاشه الحر عندما أخذ ينظر إلى تلك المشاهد في كلا المعسكرين، فرأى الجنة في المعسكر الأول حيث يقف الإمام الحسين وصحبه عليهم السلام ؛ وكأن لسان حاله يقول : «كيف يكون سيد شباب الجنة في مكان والجنة في مكان آخر»؟!.

ورأى في المعسكر الثاني حيث يقف عمر بن سعد وجنده، النار التي هم فيها خالدون ؛ وإلا كيف يكون حال من تجمع وتجهز وعزم على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي : ج١١، ص١٠٢، ط دار إحياء التراث. تاريخ الإسلام للذهبي : ج ١٧، ص ٢٠، ط دار الكتاب العربي. تاريخ الخلفاء : ص ٦، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام . البداية والنهاية لابن كثير : ج ١١، ص ١٤٣.

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

ولذا: لما سمع الحر بن يزيد الرياحي كلام الإمام الحسين عليه السلام واستغاثته، أقبل على عمر بن سعد وقال له: أتقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي!!.

قال: ما لكم فيما عرضه عليكم من الخصال؟ فقال: لو كان الأمر إليّ لقبلته، ولكن أميرك أبى ذلك. فتركه ووقف مع الناس.

وكان إلى جنبه قرة بن قيس، فقال لقرة: هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فهل تريد أن تسقيه؟ فظن قرة من ذلك أنه يريد الاعتزال، ويكره أن يشاهده فتركه فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلاً فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟.

فسكت وأخذته الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال، وقال له: لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟.

فقال الحر: إني أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت»[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

(٢) اللهوف في قتلا الطفوف لابن طاووس: ص٦٢، ط أنوار الهدى - بقم. الهداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص ١٩٥، ط دار إحياء التراث العربي.

إذن:

فهذا هو الأنس الذي عاشه الحر عليه السلام عند ما تجلى له جمال أتباع الحق حينما مرّ بفترة من الزمن احتار فيها بين أن يتبع الحق أم الباطل، فاختار الحق وبدت له الجنة وكأنه يراها، بل أيقن أنه الآن قد دخلها.

ولذا قال: «والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت».

المشهد التاسع:

جمال التوبة في الإنابة

هذا الجمال الذي تجلى للحر بن يزيد الرياحي عليه السلام في الحيرة والخروج منها باختيار الحق، أتبعهُ بجمال آخر وهو جمال التوبة.

والصورة التي ينقلها أصحاب المقاتل والتاريخ في توبة الحر عليه السلام، و«رجوعه عن ذنبه»[1] صورة في غاية الحسن ومنتهى الذوق الرفيع الذي تحلى به الحر.

فقد ضرب بجواده نحو الحسين عليه السلام منكساً رمحه، قالباً ترسه، وقد طأطأ برأسه حياء من آل الرسول بما أتى إليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلأ رافعاً صوته:

---

(١) مجمع البحرين: ج٢، ص١٥، مادة توب، والتوبة في مصطلح أهل العلم الندم من الذنب لكونه ذنباً.

«اللهم إليك أنيب فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك! يا أبا عبدالله إني تائب فهل لي من توبة»؟.

فقال الحسين عليه السلام: «**نعم يتوب الله عليك**».

فسره قوله، وتيقن الحياة الأبدية والنعيم الدائم[1].

لأنه رأى جمالاً وحسناً في هذا الرجوع بالتوبة الى الله عزوجل.

المشهد العاشر:

جمال الزوجية في التكافئ

جمعت كربلاء في حادثة الطف جميع مكونات الأسرة، ففيها تجد الأب والأم والأولاد ذكوراً واناث، كباراً وصغاراً، وتجد فيها الأخوة والأخوات، والعم والعمة والخال والخالة وأبناء العمومة، وغيرهم ممن تجمعهم رابطة القرابة والعشيرة.

ولو توقفنا مع كل مكون من هذه المكونات الأسرية لوجدنا فيه دروس عديدة من البناء النشؤيي الاجتماعي؛ ولأخذنا منه منهاجاً تربوياً لكل أسرة مسلمة، ولاسيما ونحن اليوم بأمس الحاجة الى ما يجمع أبناء الأسرة الواحدة بعد أن وردت عليها الثقافات المخالفة للقيم والمبادئ التي نشأت عليها الأسرة المسلمة.

فمع توفر كل سبل الرفاهية في العيش إلا أننا نجد التزاحم فيما بين

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٤٦.

الأخوة والأخوات وهم ضمن نطاق بيت واحد، فكيف بهم إذا اشتد بهم العسر وضاق بهم العيش وتعسر عليهم استحصال أبسط مستلزمات الحياة؟!. هل سيأتلفون، أم تدب الخلافات فيما بينهم أكثر فأكثر.

ولذلك: لو نظر القائمون على الأسر والراعون لها، آباء كانوا أم أمهات الى كربلاء وما حوته من مشاهد أسرية صحب أصحابها ورعاتها الحسين عليه السلام لأخذوا الدروس والعبر العديدة في آلية التعامل مع أبنائهم وأزواجهم وإخوانهم وأخواتهم وغير ذلك؛ ولتعلموا المناهج المتطورة في النشأة الاجتماعية والأسرية.

ومن هذه المناهج، هو: التكافئ بين الزوجين.

فقد قدمت كربلاء أجمل صورة من التكافئ الفكري والعقائدي والإيماني والجهادي بين زوجين قدما لنصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهما «عبدالله بن عمير الكلبي من (بني عليم) وكنيته أبو وهب وزوجته أم وهب بنت عبدالله، بن النمر بن قاسط».

وكان أبو وهب طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين شريفاً في قومه شجاعاً مجرباً.

أما المشهد الجمالي الذي تجلى فيه هذا التكافئ بينهما، فقد ظهر في موضعين:

الموضع الأول: حين استشارها في أمر خروجه والتحاقه بركب

الحسين عليه السلام، فقالت له: «أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك» فخرج بها ليلا حتى أتى حسيناً وأقام معه[1].

والموضع الثاني: حين خرج يسار مولى زياد بن أبيه وسالم مولى عبيد الله بن زياد (عليهما لعنة الله) فطلبا البراز؛ فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن خضير، فلم يأذن لهما الحسين عليه السلام.

فقام عبدالله بن عمير الكلبي أبو وهب فأذن له، وقال عليه السلام: «**أحسبه للأقران قتالا**».

فقالا له من أنت؟ فانتسب لهما. فقالا: لا نعرفك ليخرج إلينا زهير أو حبيب أو برير، وكان يسار قريباً منه، فقال له ـ أبو وهب ـ: يا ابن الزانية أو بك رغبة عن مبارزتي ثم شد عليه بسيفيه يضربه.

وبينما هو مشتغل به؛ إذ شد عليه سالم فصاح أصحابه قد رهقك العبد فلم يعبأ به فضربه سالم بالسيف فاتقاها عبدالله بيده اليسرى فأطار أصابعه ومال عليه عبدالله فقتله، وأقبل الى الحسين يرتجز وقد قتلها.

وأخذت زوجته أم وهب عموداً وأقبلت نحوه، تقول له: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأراد أن يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن أدعك دون أن أموت معك.

---

(١) أبصار العين للشيخ السماوي: ص ١٧٩، ط مركز الدراسات الإسلامية، قم.

فناداها الحسين - عليه السلام - : «**جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيرا، أرجعي إلى الخيمة فإنه ليس على النساء قتال**» فرجعت[1].

لكن هذه الزوجة الصالحة لم تترك زوجها فقد عزمت أن تكون معه حياً وميتاً، وأن تقبل معه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قدما له ما يسره ويقر عينه في الدفاع عن ولده وريحانته من الدنيا.

فما هي إلا ساعة من الوقت تمر على أبطال الطف، فمنهم من مضى شهيداً، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، وها هي الثلة القليلة الباقية تواجه الظالمين بكل ما أوتيت من عزم وقوة.

وحمل الشمر في جماعة من أصحابة على ميسرة الحسين عليه السلام فثبتوا لهم حتى كشفوهم، وفيها قاتل عبدالله بن عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً، ،واثني عشر راجلاً؛ وشد عليه هاني بن شبث الحضرمي فقطع يده اليمنى، وقطع بكر بن حي ساقه. فأخذه أيسراً وقتل صبراً.

فمشت إليه زوجته أم وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: «هنيئاً لك الجنة أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك».

فقال الشمر لغلامه رستم: أضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها، وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين عليه السلام[2].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما: ص٤٦، البحار: ج ٤٥، ص ١٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٧. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٦١، ط ←

وقطع رأسه ورمى به إلى جهة الحسين عليه السلام فأخذته أمه ومسحت الدم عنه؛ ثم أخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء؛ فردها الحسين ـ عليه السلام ـ وقال: «**ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد**»، فرجعت وهي تقول: «اللهم لا تقطع رجائي». فقال الحسين: «**لا يقطع الله رجاءك**»[1].

فكانت هذه الأسرة الجليلة بأيمانها وعقيدتها وتفانيها لمولاها وإمامها، نموذجاً فريداً تجلت فيه جمالية الأسرة المسلمة، وجمالية الأمومة، وتكافئ الزوجين، والغيرة الراسخة في الرجولة، والتصميم على الشهادة، ورباطة الجأش، والصبر على الرزية، وغيرها من القيم الإنسانية، والمفاهيم الحياتية.

المشهد الحادي عشر:

جمال الحب في أن يكون الحبيب أكبر همك

كل ما يحتاج إليه الوجدان الإنساني من أحاسيس وعواطف يجدها في عاشوراء. بل لا نبالغ إذا قلنا: أنّ عاشوراء منبعٌ تنهل منه الإنسانية ما يروي وجدانها ويغذيها بالعاطفة؛ فكفى بها أنها روح الدمعة، ومرفئ الحس الإنساني، الذي ترسي عنده جموع المستضعفين والمحرومين.

وعندها يتنفس المهموم نسيم الفرج؛ ويجد اليائس الأمل والإصرار على

مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، قم.

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص ٢٥٢، نقلاً عن تظلم الزهراء عليها السلام: ص ١١٣.

السيّر في طريق الحرية والحياة الكريمة، وعندها تجد الأرامل واليتامى الحنان، والثكلى الصبر، والمفجوع التصبّر، والواجد التأسي؛ وغيرها من الصور والمشاهد العديدة لمختلف الروابط الإنسانية.

حتى أنك لتجد الحب بأجمل مصاديقه، وأحسن هيئاته، حينما يكون الحبيب أكبر همك بل هو همك الذي لا يشغلك أمر سواه حتى النفس الأخير. هذا النفس الذي يكون كل امرءٍ فيه مشغولاً بنفسه وينشد خلاصه ولا يحضره سوى أمر نجاته، حتى في هذه اللحظات التي عليها كل الناس، أي لحظات تلفظ الأنفاس وخروج الروح. تراها اختلفت في كربلاء.

فجمال الحب في عاشوراء ليس له شبيه! فهو فريد كفردانيتها! فمَنْ مِنَ المحبين وهو يتلفظ أنفاسه الأخيرة، ويجود بروحه، وجراحاته تشخب دما، يكون أكبر همه، حبيبه الواقف عند رأسه!!؟.

أنه مشهد لا تجده إلا في كربلاء، عندما حمل عمرو بن الحجاج من نحو الفرات فاقتتلوا ساعة، وفيها قاتل مسلم بن عوسجة، فشد عليه مسلم بن عبدالله الضبابي، وعبدالله بن خشكارة البجلي؛ وثارت لشدة الجلاد غبرة شديدة، وما انجلت الغبرة، إلا ومسلم صريع وبه رمق؛ فمشي إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين: «**رحمك الله يا مسلم،** ﴿مِّنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1]».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

ودنا منه حبيب وقال: عزّ عليّ مصرعك؛ يا مسلم ابشر بالجنة.

فقال بصوت ضعيف: بشرك الله بخير.

قال حبيب: لو لم أعلم إني في الأثر لأحببت أن توصي إلى بما أهمك؟.

فقال مسلم: أوصيك بهذا؛ وأشار بيده إلى الحسين، أن تموت دونه[1].

قال - حبيب -: افعل ورب الكعبة. وفاضت روحه بينهما.

فكان مشهد تجلى فيه جمال الحب حينما يكون الحبيب أكبر هم المحب.

المشهد الثاني عشر:

جمال الفروسية في رشاقة الحركة

من الطبيعي أن تكون الفروسية معلم من معالم الطف؛ ومن الطبيعي أن عاشوراء شهدت كثيراً من المشاهد القتالية لدى الفرسان وهم بين كرٍ وفرٍ، والتحام، واقتحام، وثبات.

وفي الطف تعددة أنواع الجند بين رامٍ، وراجل، وفارس، وهم الذين

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٣١، ط الأعلمي. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص ٦٨، ط دار صادر. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٣٢. قاموس الرجال للتستري: ج ١٠، ص ٦٩، ط مؤسسة النشر الإسلامي. البداية والنهاية لابن كثير: ج ٨، ص ١٩٧، ط دار إحياء التراث العربي. أعيان الشيعة: ج٤، ص ٥٥٥، ط دار التعارف.

ينازلون من على ظهور الخيل وعليهم يرتكز ثقل القتال، والفارس لا يكون فارساً حتى يكون متقن لفنون القتال؛ سواء كان يقاتل من على ظهر جواده أم راجلاً، وهو ما يكون عليه آخر أمره، أي: أن الفارس أول ما يبدأ يقاتل يكون وهو على ظهر فرسه، فإذا عقر الفرس، كأن يكون قد رمي بسهم أو طعن برمح، فإنه يترجل عن فرسه ويقاتل وهو راجلاً.

وفي الغالب إذا عقر فرس المقاتل أثناء النزال فإنه يصاب بإرباك أو جراحه ما فيسرع إليه الخصم كي يتمكن من قتله.

ولذلك.. تعد القدرة على الانتقال عن الفرس أثناء عقره من أهم فنون الفروسية التي يمتاز بها الفرسان وبها تظهر جمالية رشاقة الحركة.

ويبدوا أن عاشوراء قد شهدت العديد من هذه المشاهد الفروسية. إلاّ أنّ المشهد الذي تجلت فيه جمالية رشاقة الحركة كان عند قتال أحد أشهر فرسان عصره وهو الحر بن يزيد الرياحي عليه السلام.

فتأمل أخي القارئ: هذا الجمال الآخاذ في فروسية الحر وشاهد جمالية رشاقة الحركة في قتاله عليه السلام.

قال المؤرخون وأصحاب المقاتل: خرج الحر بن يزيد الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره فكان إذا شد أحدهما واستلحم، شد الآخر واستنقذه ففعلا ساعة. وأن فرس الحر لمضروب على أذنيه وحاجبيه والدماء تسيل منه وهو يتمثل بقول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره	**ولبانه حتى تسربل بالدم**

فقال الحصين ليزيد بن سفيان: هذا الحر الذي كنت تتمنى قتله، قال: نعم، وخرج إليه يطلب المبارزه، فما أسرع أن قتله الحر.

ثم رمى أيوب بن مشرح الخيواني، فرس الحر بسهم فعقره، وشب به الفرس، فوثب عنه كأنه الليث، وبيده السيف، وجعل يقاتل حتى قتل نيفاً وأربعين؛ ثم شدت عليه الرجالة فصرعته.

وحملهُ أصحاب الحسين عليه السلام ووضعوه أمام الفسطاط الذي يقاتلون دونه؛ وهكذا يؤتى بكل قتيل إلى هذا الفسطاط، والحسين عليه السلام يقول: «**قتلة مثل قتلة النبيين وآل النبيين**».

ثم التفت إلى الحر وكان به رمق فقال له وهو يمسح الدم عنه: «**أنت الحر كما سمتك أمك، وأنت الحر في الدنيا والآخرة**».

ورثاه رجل من أصحاب الحسين، وقيل: علي بن الحسين، وقيل أنها من إنشاء الحسين خاصة:

لنعم الحر حر بن رياح	**صبور عند مشتبك الرماح**
ونعم الحر إذ فادى حسيناً	**وجاد بنفسه عند الصباح**[1]

وفي استشهاده عليه السلام انطفئ في يوم الطف مشهد آخر من مشاهد

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

الجمال ؛ لكنه في سجل الأحرار بدا شاخصاً يعلم الأجيال دروساً من الحرية ، ويلهم الفرسان فنوناً في الفروسية ، وهم يؤنسون بذلك الجمال في رشاقة حركته حينما شب به الفرس ، أي رفع يديه جميعاً من الأرض ، فوثب منه كأنه الليث والسيف بيده.

مشهدٌ ظهر فيه جمال الرجولة ، والعنفوان ، ورشاقة الحركة ، وتمرس القتال.

وكأنه كما قال الشاعر :

جذلان يملأ منحة وبشاشة	**أيدي العفاة وأعين الزوارِ**
أرج الندى بكره فكأنه	**متنفس عن روضة معطاري**
بطلٌ جرى الفلك المحيط بسرجه	**واستل صارمه يد المقدار**
بيمينه يوم الوغى وشماله	**ما شاء من نار ومن أعصارِ**
والسمر حمر والجياد عوابس	**والجو كاس والسيوف عواري**
والجياد تعثر في شبا شوك	**القنا قصداً وتسبح في الدم الموار[1]**

المشهد الثالث عشر:

جمال الوفاء في التفاني حتى الموت

قالوا في اللغة : الفناء هو نقيض البقاء ، والفعل : فني يفنى فناء فهو فان[2]. والتفاني هو بذل الجهد حتى حصول الفناء.

---

(١)نفح الطيب في غصن الأندلس الطيب للمقري التلمساني : ج٢ ، ص٤٧٥ ، ط دارصادر.

(٢) كتاب العين للفراهيدي : ج٨ ، ص ٣٧٦.

وعليه..

فقد بدا مشهد جمالي آخر من مشاهد الجمال في عاشوراء وهو بذل أقصى الجهد في الحب حتى الموت، وبذل أقصى الجهد في الوفاء حتى الموت.

وهذا المشهد الذي تجلى فيه جمال الحب والوفاء حتى الفناء، ظهر بشكل خاص عند استشهاد سعيد بن عبدالله الحنفي وعمرو بن قرظة الأنصاري.

فأما سعيد فإنه تقدم أمام الحسين فاستهدف لهم، - أي جعل نفسه هدفاً لهم - يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً قام بين يديه؛ فما زال يرمي به حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: الله العنهم لعن عاد وثمود، اللهم أبلغ نبيك السلام وابلغه ما لقيت ما ألم الجراح، فاني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك، ثم مات عليه السلام فوجد به ثلاثة عشر سهما؛ سوى ما به من ضرب السيوف، وطعن الرماح.

وأما عمرو بن قرظة الأنصاري فأنه استأذن من الحسين عليه السلام فأذن له، فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعاً كثيراً من أحزاب ابن زياد، وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إلى الحسين سهم إلاّ اتقاه بيده، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين سوء حتى اثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين وقال: يا ابن رسول الله أوفيت؟.

قال: «**نعم أنت إمامي في الجنة، فأقرى رسول الله مني السلام، وأعلمه أني في الأثر**»[1].

وهذا الجمال العاشورائي فريد في وجوده على مرّ التاريخ، وسيبقى فريداً حتى الظهور؛ أذ لم يرَ مثله قط!؟ لأن الملامح الجمالية التي تكونت منها هذه المشاهد لا تجتمع في موضع آخر. فمن له القدرة أن يأتي بمثل هذا الحب والوفاء وبذل أقصى غاية الجهد حتى الموت وكأنه يزول كما تزول أشعة الشمس رويداً رويداً عندما تؤول إلى الغروب ثم تنطفئ.

ومن له هذا المستوى من الإخلاص في النية، مع تحمل هذه الآلام، والتعرض للطعن والضرب، وهو يقي بنفسه حجة الله، ويرجوا في ذلك رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

جمال ليس له نظير في الوجود كما عبّر عنه سيد الشهداء عليه السلام: «**إني لا أعلم أصحابا خير ولا أوفى من أصحابي**».

المشهد الرابع عشر:

جمال الإيمان بالغيب يتجلى في الإسراع للشهادة

«المراد بالإيمان هو الاعتقاد، والغيب هو الذي غاب عن الحواس الظاهرة، أي ما وراء الطبيعة، فالروح غيب، وأحوال القبر غيب، والله

(١) المقتل للسيد المقرم: ص ٢٥٦ و٢٥٨.

سبحانه غيب، وهكذا»[1].

وهذا الاعتقاد بالغيب يتجلى جماله في الإسراع إلى الشهادة، لأنها: أي الشهادة في سبيل الله قائمة بكل دقائقها على الإيمان بالغيب وما أعد الله تعالى للشهداء من أجر ومقام ونعيم.

فعندما ما يتسارع الإنسان إلى الشهادة، فهذا يدل على إنه في أعلى درجات الإيمان بالغيب.

ولذلك عندما تحدث القرآن عن صفات المتيقن، جعلها أول صفاتهم، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[2].

ولكونهم من أصحاب اليقين فقد تسارعوا إلى الشهادة لنيل ما أعد الله تعالى لهم.

هذه الصورة الجميلة أظهرتها عاشوراء بأحسن وجه حينما صلى الحسين عليه السلام بمن بقى من أصحابة صلاة الخوف، ولما فرغ عليه السلام قال لأصحابه: «**يا كرام هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنها رها وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله، والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، يتوقعون قدومكم ويتباشرون**

(١) تقريب الأذهان إلى القرآن للسيد الشيرازي قدس سره: ج١، ص١٠٣، ط دار العلوم.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١ ـ ٤.

بكم، فحاموا عن دينه، ودين نبيه، وذبوا عن حرم الرسول» ، فقالوا : نفوسنا لنفسك الفداء ودماؤنا لدمك الوقاء ، فوالله لا يصل إليك والى حرمك سوء ، وفينا عرق يضرب[1].

فكان مشهد من مشاهد الإيمان بالغيب تجلى فيه جمال الاستبشار بالعاقبة حين لبى هؤلاء المتقون دعوة الحق في يوم عاشوراء.

المشهد الخامس عشر:

جمال النزال في تحدي الرجال

إنه مشهد أخر من مشاهد الرجولة الفذة ، يتجلى فيه جمال التحدي عند النزال ، حينما ينادي المنادي في جموع الرجال والصناديد عن منازل ومبارز فلا يجد أحدا على الرغم من إن الحاضرين كانوا ألاف عديدة! وقد تجهزوا بكل لوازم القتال! إلاّ أنهم وقفوا صامتون وكأن الأرض قد أطبقت على أنفاسهم!!.

مشهد هو من حيث الغرابة يدفع بالصمت والحيرة أن تخيم على النفس ؛ ومن حيث الجمال فهو يدعوا إلى الأنس والسرور لأن في أصحاب الحسين عليه السلام رجالٌ من نوع فريد على مرّ التاريخ.

فها هو أحد أولئك الرجال إنه عابس بن أبي شبيب الشاكري جاء يستأذن الإمام عليه السلام بالخروج إلى النزال فوقف أمامه وقال : «يا أبا عبدالله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض ، قريب ولا بعيد ، أعز علي ، ولا أحب إليّ

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم : ص ٢٥٧ ، نقلاً عن أسرار الشهادة : ص١٧٥.

منك، ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعز علي من نفسي لفعلت، السلام عليك، أشهد إني على هداك وهدى أبيك! ومشى نحو القوم مصلتاً سيفه، وبه ضربه على جبينه.

قال أبو مخنف، قال ربيع بن تميم - وكان قد شهد يوم عاشوراء -، قال: لما رأيته مقبلاً عرفته، وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم. فأخذ - عابس - ينادي: ألا رجل لرجل؟!! - فلم يجبه أحد ولم يخرج إليه رجل لأنهم فقدوا رجولتهم فامسكوا عنه -.

فقال عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة. فرمي بالحجارة من كل جانب.

فلما رأى ذلك ألقى درعه، ومغفره، ثم شد على الناس، وأنه ليطرد أكثر من مائتين؛ ثم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل.

فتنازع ذوو عدة في رأسه، هذا يقول أنا قتلته، وهذا يقول أن قتلته؛ فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا هذا لم يقتله رجل واحد. وفرق بينهم بذلك[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٣٨. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٧٣. البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٠. مستدركات أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٤، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ١٥٣. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي رحمه الله: ج ١، ص١٩٦.

المشهد السادس عشر:

جمال الحسب في التحرر من عبودية النفس

ذكر أهل اللغة: أن الحسب هو الشرف الثابت في الآباء[١]؛ وما يعد من مفاخرهم[٢]. وقد جمعت كربلاء في يوم عاشوراء صنفين من الناس، صنف من الأعراب والموالي وبعض القبائل العربية؛ مثل بني تميم، ومذحج، وكنده، وهوازن، وبني أسد.

وهذه القبائل وغيرها وقفت مع عمر بن سعد لقتال الحسين عليه السلام وقامت بعد انتهاء المعركة بتقطيع الرؤوس وحملها إلى عبيد الله بن زياد كي تتقرب بها إليه، فجاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأساً، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً مع الحصين بن نمير، وجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً مع قيس بن الأشعث؛ وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزد بخمسة رؤوس مع عهيمة بن زهير، وجاءت ثقيف باثني عشر رأساً مع الوليد بن عمرو[٣].

---

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج ٣، ص ١٤٨.

(٢) مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤١.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٥٩، ط دار إحياء الكتب العربي. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٥٨، الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص ٩١. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ٢٣٣، ط المطبعة العلمية بقم. اللهوف لابن طاووس: ص٨٥. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج ٢، ص ٨٤٩، ط دار الحديث. شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج ٢٣، ص ٦٦١. البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٦٢.

والصنف الثاني، أي - الذين وقفوا مع الحسين عليه السلام - كانوا من: بني هاشم، وبعض أبناء القبائل العربية التي سكنت الحجاز وكانوا قدموا معه عليه السلام من المدينة، وبعض أبناء قبائل الكوفة وبعض الموالي كـ «جون» مولى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وواضح التركي سلام الله عليهم أجمعين.

وقد اعتاد العرب على التفاخر بالأنساب والأحساب فيما بينهم حتى في الحروب فإن المقاتل إذا خرج إلى النزال فإنه يرتجز معرفاً بنسبه وحسبه كي يدخل الذعر في قلب الخصم من ناحية؛ ومن ناحية أخرى يختار في ذلك من يكون له كفؤ في النسب والحسب.

وقد يمتنع كثير من المقاتلين عن مبارزة من لا يعرّف بنفسه، أو لمن ينتسب؛ ولا يعرفون نسبه كما حدث عند خروج عبدالله بن عمير الكلبي لمبارزة يسّار مولى زياد بن أبي سفيان، وسالم مولى عبيد الله بن زياد.

فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما؛ فقالا: لا نعرفك، ليخرج إلينا زهير بن القين، أو حبيب بن مظاهر، أو برير بن خضير!.

فقال عبدالله بن عمير ليسار مولى زياد بن أبي سفيان وكان واقف قريباً منه: يا بن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، وما يخرج إليك أحد من الناس إلاّ وهو خير منك[1].

وهذا المشهد يكشف عن الأمور التالية:

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٧، ط الأعلمي، بيروت. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٦٥. مقتل الحسين عليه السلام: لأبي مخنف: ص ١٢٤.

١ ـ الحالة النفسية لكثير من الموالي الذين التحقوا بهذا الركب ـ ركب السلطة ـ كي يعوضوا ما فقدوه من حسب؛ فظنوا أن الوقوف مع الظالمين يسد لهم هذا الفراغ الاجتماعي والنفسي. ولذلك أعرضا عن مبارزته على الرغم من تعريفه بنسبه وحسبه، إلاّ أنهما طلبا خروج ذوي الأحساب المشهورة وأهل الفضل والشرف والجاه الاجتماعي، كزهير بن القين وحبيب بن مظاهر ومقرء الكوفة برير بن خضير.

٢ ـ أنّ التفاخر بالأحساب في ركب الإمام الحسين عليه السلام اختلف جماله وفحواه، فهو قائم على الإيمان بالله تعالى وحب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحرر النفس من رق العبودية وانقيادها لأهوائها.

وهذا المشهد المتألق في الحسن والجمال ظهر في موضعين.

الموضع الأول

عند خروج جون عليه السلام، وكان عبدٌ أسود[1]، فقال له الحسين عليه السلام: «**أنت في إذن مني، فإنما تبعتنا طلبا للعافية فلا تبتل بطريقنا**».

فقال: يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم، والله إن ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنة، فتطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيّض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدّم الأسود مع دمائكم.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٥١.

- ثم خرج يقاتل - ، وهو ينشد ويقول :

كيف يرى الكفّار ضرب الأسود بالسيف ضرباً عني بني محمد

أذب عنهم باللسان واليد أرجوا به الجنة يوم المورد

فقاتل حتى قتل ، فوقف عليه الحسين عليه السلام ، وقال : «**اللهم بيض وجهه، وطيب ريحه، وأحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد**»[1] .

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام ، عن علي بن الحسين عليهما السلام : «**أنَ الناس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلى، فوجدوا جون بعد عشرة أيام يفوح منه رائحة المسك**»[2] .

فكان هذا الحسب الذي توسمه جون الزنجي عليه السلام أرفع شأناً وأسمى شرفاً من الحسب الذي كان لعمر بن سعد بن أبي وقاص القرشي ، فهذا مخزيٌ في الدنيا والآخرة ، وذاك مشرفٌ في الدنيا والآخرة .

ولذلك :

دأبت مدرسة العترة المحمدية صلوات الله عليهم أجمعين على تثبيت هذا الجمال والسمو الإنساني في أذهان الناس ، سواء في كربلاء ، أو في غيرها من الأماكن ، وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة والوقائع .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٥ ، ص ٢٣ . العوالم ، الإمام الحسين عليه السلام : ص ٢٦٦ . لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين : ص ١٤٩ . معالم المدرستين للعسكري : ج ٣ ، ص١٢٠ . مستدركات علم الرجال للشاهرودي : ص ٢٤٥ . أعيان الشيعة : ج ١ ، ص٦٠٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٤٥ ، ص ٢٣ .

فقد أخرج الشيخ الكليني رضي الله عنه ، عن عقبة بن بشير الأسدي ، قال ، قلت لأبي جعفر عليه السلام : أنا عقبة بن بشير الأسدي ، وأنا في الحسب الضخم من قومي.

قال ، فقال - عليه السلام - : «**ما تمن علينا بحسبك، إنَ الله رفع بالإيمان من كان الناس يسمونه وضيعا إذا كان مؤمنا، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً إذا كان كافرا، فليس لأحدٍ فضل على أحد إلا بالتقوى**»[1].

الموضع الثاني لظهور جمال الحسب

هذا الموضع تجلى فيه الجمال والحسن ، حينما برز للقتال عمرو بن جناده ، وهو ابن أحدى عشرة سنة[2] ، وهو شاب قتل أبوه في المعركة ، وكانت أمه معه ، فقالت له أمّه : أخرج يا بني وقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج.

فقال الحسين عليه السلام : «**هذا شاب قتل أبوه في المعركة، ولعل أمه تكره خروجه**».

فقال الشاب : أمّي أمرتني بذلك ، فأذن له الإمام الحسين عليه السلام.

وحيث أن العرب عندما تخرج إلى القتال تنتسب إلى قومها ، وتفاخر بحسبها. إلاّ أنّ هذا الشاب رأى أنّ جمال الحسب ، كل الحسب في الانتساب

(١) الكافي : ج ٢ ، ص ٣٢٨ ، ط دار الكتب الإسلامية.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم : ص ٢٦٤.

إلى ركب الإمام الحسين عليه السلام والائتمام به فقد خرج وهو يقول مخاطباً هذه الجموع من الناس:

أمـــيري حـــسينٌ ونعـــم الأمـــير ـــــــــــ سـرور فــؤاد البــشير النــذير

علـــــي وفاطمــــــة والــــــداه ـــــــــــ فهــل تعلمــون لــه مــن نظــير

فقاتل حتى قتل، وحزّ رأسه ورمي إلى عسكر الحسين عليه السلام[1].

أنّه مشهد أسس في المجتمع المسلم منهجاً جديداً للتعايش العرقي القائم على إذابة الطبقية الناشئة من التفاخر على حساب أمجاد الآباء.

وإن الفخر كل الفخر بما يكسبه المرء من تقوى وصلاح. سواء كان من العرب أو غيرهم، أبيض اللون أم أسوده وأنّ حسبه في موالاته وأتباعه لأهل الصدق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2].

---

(١) فحملت أمه رأسه، وقالت: أحسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرة عيني، ثم رمت برأس أبنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمته وحملت عليهم وهي تقول:

أنـــا عجـــوز ســـيدي ضـــعيفة ـــــــــــ خاويـــــة باليـــــة نحيفـــــة

أضـــــربكم بـــــضربة عنيفـــــة ـــــــــــ دون بـــــني فاطمـــــة الـــــشريفة

(بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٨. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٥٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٧١. أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٧).

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٩.

المشهد السابع عشر:

جمال الإنسانية في إغاثة الملهوف

من أبرز الصفات الدالة على تخصيص الإنسان بـ «الإنسانية» هي إغاثة الملهوف، أي: إعانة ونصرة المظلوم[1].

ولأهميتها الكبيرة في الدلالة على إنسانية الإنسان فقد تناولها القرآن في الإشارة إلى أنها أحد الملكات النفسية التي يتصف بها أهل العصمة، وهم الأنبياء والمرسلون والأئمة عليهم السلام.

قال تعالى في محكم كتابه وهو يشير إلى جانب من هذه الإغاثة في قضية موسى عليه السلام حينما استغاث به أحد شيعته، قال عزّ من قائل: ﴿ **وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ** ﴾[2].

وهنا.. تظهر هذه الملكة النفسية، الكاشفة عن إنسانية المغيث، بأنها أحد الصفات الملازمة لذوي المكارم، وقد أشارت مجموعة من الأحاديث الشريفة إلى دور هذه الصفة الإنسانية في حفظ الإنسان ودفع الضرر عنه سواء في نفسه أو ماله أو عرضه. وأشارت أيضاً إلى دورها في تعزيز الروابط الاجتماعية، وتدعيم أطر المحبة.

---

(١) المصباح المنير، مادة «غوث».

(٢) سورة القصص، الآية ١٥.

نورد بعضاً منها:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاث وسبعين حسنة، واحدة منها يصلح آخرته ودنياه، والباقي في الدرجات**»[1].

٢ - وقال صلى الله عليه وآله: «**إن من موجبات المغفرة: إدخالك السرور على أخيك المسلم، واشباع جوعته، وتنفيس كربته**»[2].

٣ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب**»[3].

٤ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**الذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»[4].

٥ - وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أي العمل أفضل؟ قال: «**أن تدخل على أخيك المسلم سرورا أو تقضي عنه دينا، أو تطعمه خبزا**»[5]. وليس هناك أعظم سروراً من أن يجد المسلم من يغيثه حينما يستغيث.

٦ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أفضل المعروف إغاثة الملهوف**»[6].

---

(١) الرسالة السعدية للعلامة الحلي: ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شرح نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج ٤، ص ٧، ط دار الذخائر، قم.

(٤) معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ٣٧١، ط مؤسسة النشر الإسلامي قم.

(٥) الرسالة السعدية: ص ١٦٤.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٤١٦.

ولذلك أظهرت عاشوراء صوراً عديدة لتجلي جمال الإنسانية في إغاثة الملهوف ؛ فكان بعضها يتحدث عن جمال إنسانية أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام ، وهم ينصرون مظلوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم . والبعض الآخر تحدث عن سرعة إغاثة الحسين عليه السلام لمن يستغيث به من أصحابه وأهل بيته ؛ فمنهم من لحق به وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، كمسلم بن عوسجة ، وواضح التركي ، ومولاه أسلم ، وأخيه العباس بن أبي طالب عليهم السلام .

ومنهم من فاضت روحه الطاهرة حين وصل إليه الإمام الحسين عليه السلام ، كالقاسم ابن الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام[1] .

هذه الصورة في جمال الإنسانية عكست في نفس الوقت القبح الإنساني في المعسكر الآخر. بل دلت على عدم وجود ما يتصف به الإنسان من كونه إنساناً. حينما كان الإمام الحسين عليه السلام يستغيث بعد مقتل أصحابه وأهل بيته عليهم السلام فلا يجد جواباً ! لأنهم تحولوا إلى صنف آخر ، ظاهرهم من البشر وباطنهم كل افاك أثيم أشر.

---

(١) وقف الإمام عند رأسه وهو يفحص برجليه ! والحسين يقول : بعداً لقوم قتلوك ، خصمهم يوم القيامة جدك. ثم قال : عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينفعك ، صوت والله كثرة واتره وقل ناصره ؛ ثم احتمله وكان صدره على صدر الحسين عليهما السلام ، ورجلاه يخطان في الأرض ، فالقاه مع علي الأكبر ، وقتلى حوله من أهل بيته. (مثير الأحزان لابن الحلي : ص ٥٢. إقبال الأعمال لسيد ابن طاووس : ج٣ ، ص٧٥. بحار الأنوار : ج ٤٥ ، ص ٦٧. تاريخ الطبري : ج ٤ ، ص ٣٤١).

ومن بين تلك الصور الجميلة برز مشهدٌ في غاية الحسن وسمو الإنسانية. حينما صرع واضح التركي مولى الحرث المذحجي، وقد استغاث بالحسين فأتاه أبو عبدالله عليه السلام واعتنقه، فقال: «**من مثلي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضع خده على خدي**» ثم فاضت روحه الطاهرة[1].

مشهد يأسر القلب بحسنه وبهائه، ويأخذه بعيداً عن عالم لم يعد للإنسانية فيه وجوداً سوى أشباح تظهر ها هنا مرة، ومرة تختفي هناك.

المشهد الثامن عشر:

جمال سمو النفس في التواضع

دأبت مدرسة عاشوراء الحسين عليه السلام على إظهار الفضائل الأخلاقية، وتجليها بأجمل صورة وأبهى حله، تشد الناظر إليها، وتسحره بحسن ملامحها، وبهاء هيئتها، فكان من بينها تجلي، جمال التواضع المتألق من سمو نفس الإمام الحسين عليه السلام. والتواضع كما يعرفه علماء الأخلاق هو: «أن لا تجعل لنفسك مرتبة على من هو دونك في الجاه علوا»[2].

وقد جاءت بعض الأحاديث لتعرف المسلم على أهمية وفضل التواضع، وأثره في حفظ المودة بين أفراد المجتمع، لأنه يدعوا إلى الألفة وإدخال السرور على قلب المؤمن.

---

(١) أبصار العين للسماوي رحمه الله: ص ٩٦، ط مركز الدراسات الإسلامية بقم. أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٣٠٣. مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٥٩.

(٢) مقدمة في علم الأخلاق للسيد كمال الحيدري: ص ٦٦، ط مؤسسة التاريخ العربي.

١ ـ قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : «**لكل شيء مطية ومطية العقل التواضع**»[1].

٢ ـ عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملك ، فقال : «**أن الله يخيرك أن تكون عبدا رسولا متواضعا، أو ملكا رسولا.**

قال: فنظر إلى جبرائيل وأومأ بيده أن تواضع؛ فقال: عبدا متواضعا رسولا؛ فقال الرسول[2] **مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئا؛ قال: ومعه مفاتيح خزائن الأرض**[3].

٣ ـ وعن الرضا عليه السلام قال : «**التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، أن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين**»[4].

٤ ـ وعن الحسن بن الجهم قال سألت الرضا عليه السلام :

«فقلت له جعلت فداك ما حد التوكل؟

فقال لي : **أن لا تخاف مع الله أحدا.**

قال ، قلت : جعلت فداك ، فما حد التواضع؟

فقال : **أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله.**

---

(١) الكافي لشيخ الكليني رحمه الله : ج ١ ، ص ١٠.

(٢) أي : الملك الذي أتى إلى النبي.

(٣) الوسائل : ج ١٥ ، ص ٢٧٣ ، برقم ٢٠٤٩٦.

(٤) الوسائل : ج ١٥ ، ص ٢٧٤ ، برقم ٢٠٤٩٨.

قلت جعلت فداك: اشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟

فقال: **أنظر كيف أنا عندك**»[1].

وعند الدخول الى مدرسة عاشوراء لمشاهدة صور الجمال التي تجلت فيها الفضائل؛ نجد أن الحسين عليه السلام في الوقت الذي مشى فيه الى ولده علي الأكبر، وأخيه العباس، وبقية شهداء بني هاشم، فهو في نفس الوقت ذهب عليه الصلاة والسلام الى واضح التركي وأعتنقه، ومشى كذلك الى أسلم مولاه وأعتنقه وكان به رمق فتبسم وأفتخر بذلك، ومات رضي الله عنه.

والفرق بين ذهابه عليه السلام إلى واضح التركي مولى الحرث المحجي، وبين مشيه إلى أسلم مولاه، هو أن واضح استغاث به عليه السلام فلبى استغاثته وادخل السرور على قلبه، فكان كاشف عن جمال انسانيته عليه السلام.

أسلم مولاه فهو كاشف عن سمو نفسه المقدسة وجمال تواضعه لأن أسلم لم يستغيث به.

ولذلك.. مَنْ، مِنَ القادة والمصلحين له هذا السمو والرفعة؟! وكم واحد منهم ينحني لمولى عنده فيعانقه ويضع خده على خده!؟ ويساوي بينه وبين ولده في هذا الصنيع.

أنه مشهد تفرد في ظهوره العاشورائي، وهو مشهد يتجدد فيه الجمال بتجدد وتعدد ظهور القيم الأخلاقية والكمالات النفسانية التي أرسى قواعدها الإمام الحسين عليه السلام في نبع الحياة.

---

(١) الوسائل: ج ١٥، ص ٢٧٤، برقم ٢٠٥٠٠.

المشهد التاسع عشر:

جمال القرابة في دفع الهوان عن القريب

من المشاهد الاجتماعية التي ظهرت في عاشوراء، كان مشهد القرابة الذي تجلى فيه بقوة جمال دفع الهوان[1] عن القريب.

والقرابة والقربى: الدنو في النسب، والقربى في الرحم[2]. وأقرب القرابة هم العمومة وأبنائهم. وقد أظهرت مدرسة عاشوراء صورة فريدة في تلاحم أبناء العمومة، حينما لبوا جميعهم نداء الرحم ودفعوا عن ابن عمهم كل ما يدعوا إلى هوانه. لأن عزّه، عزهم، وهوانه هوانهم.

وكم نحن اليوم بحاجة إلى هذا النموذج التربوي الاجتماعي بعد أن أصبحت في الوقت الحاضر هذه الروابط القرابية لا تحمل من العناوين سوى الأسماء؛ بل قد أصبحت هذه الأسماء (كابن، العم، وابن العمة، وابن الخال، والخالة) عنوانين للخصومة والمشاحنات فقط؟.

والعلة في ذلك: هي أن هذه الأسر بدأت تأخذ نماذج قرابية غريبة عن الواقع الإسلامي، من خلال الثقافات الهجينة التي غزت المجتمعات الإسلامية بعد فتحها لقنوات الاتصال والاحتكاك بهذه الثقافات دون أن تتمسك بتلك

---

(١) الهون والهوان: نقيض العزّ. «لسان العرب: مادة «هون».

(٢) لسان العرب: ج ١، ص ٦٦٥، مادة قرب.

القيم العربية والثوابت الإسلامية. فوجدت هذه الثقافات أجواء فكرية مكشوفة لخلوها من التحصين الفكري والثقافي الإسلامي.

ولذلك..

نحن اليوم بأمس الحاجة إلى ملئ الأسر المسلمة بالثقافة الإسلامية، والمناهج التربوية والاجتماعية المستمدة من حياة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام؛ باعتبارها الجانب العملي والتطبيقي للقرآن الكريم. ولاسيما مدرسة الإمام الحسين عليه السلام وبالأخص المدرسة العاشورائية. لأنها جمعت كل مكونات الأسرة المسلمة، وما يحيط بها من روابط قرابية واجتماعية، وما ترتب عليها من حقوق وواجبات في كافة الأصعدة، كالشرعية، والفكرية، والتربوية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، بصنفيها الدفاعي والهجومي، وغيرها من مجالات الحياة الإنسانية التي تعيشها الأسرة.

بل.. ليجد الباحث، والمفكر، والدارس، في جميع أبواب المعرفة، مبتاغه ومادته البحثية في مدرسة العترة الطاهرة عليهم السلام؛ وقد لا نبالغ أن قلنا أن في عاشوراء شواهد لجميع المعرفة التي يقصدها طلاب العلم في المؤسسات العلمية والجمعيات الأكاديمية والفكريّة.

ومن هنا: ظهرت رابطة القرابة القريبة المتمثلة بأبناء العمومة في أجمل صورها وأحسن هيئاتها حينما وقفوا كرجل واحد على دفع الهوان عن ابن عمهم؛ لدرجة إن الإمام الحسين عليه السلام لما رأى حميتهم، وتحرك رحمهم،

وكأنه برق سرا في عروقهم الهاشمية، وتسارعهم إلى الشهادة، ناداهم قائلاً: **«صبرا على الموت يا بني عمومتي، والله لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم»**[1].

فوقع فيهم عون بن عبدالله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه العقيلة زينب بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأخوه محمد وأمه الخوصاء؛ ومن أبناء عقيل بن أبي طالب عليهما السلام ووقع عبدالرحمن، وجعفر عليهم السلام؛ ومن أبناء مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ووقع محمد، وكان أخوه عبدالله قد أستشهد قبلهم جميعاً[2].

فكانت صورة خاصة تجلى جمالها في المظهر الاجتماعي والأسري حينما لبى أبناء العمومة نداء العزّة ودفع الهوان عن القريب.

المشهد العشرون:

جمال الشجاعة في كبر النفس

غالباً ما يتبادر إلى ذهن الإنسان عند سماعه للفظ «الشجاعة» هو الحرب، أو العراك، أو بشكل عام تحدي الخوف في جميع الظروف التي توجده.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم رحمه الله: ص ٢٧٤. نقلاً عن: ابن جرير في تاريخه: ج٦، ص ٢٥٦. والخوارزمي في المقتل: ج ٢، ص ٧٨. والسيد ابن طاووس في اللهوف: ص ٦٤.

(٢) مقتل الإمام الحسين للمقرم: ص ٢٧٤، ط مؤسسة النور.

وهي، أي الشجاعة - كما عرفها ابن منظور - : شدة القلب في البأس، والبأسُ: الشدة في الحرب. وقيل البأسُ: هو العذاب[1].

والشجاعة عند علماء الأخلاق هي: «إطاعة القوة الغضبية للعاقلة في الأقدام على الأمور الهائلة، وعدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها حتى يكون فعلها ممدوحا، وصبرها محمودا»[2]. وهي: «أحد أمهات المحاسن الأخلاقية وأصولها الأساسية وقد تفرع منها فروع ناشئة منها راجعة بحسب التحليل إليها؛ وهي: «كبر النفس، والنجدة، وعلو الهمة، وثبات الهمة، والحلم، والسكون، والصبر، التواضع»[3].

وهذه الفروع وإن كانت كلها داخله تحت أصل الشجاعة إلاّ أنّ كبر النفس أكثرها دلالة عليها. وإن جمالها ليتجلى فيه.

فهو: «الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكرائه والهوان، فصاحبه أبداً يؤهّل نفسه للأمور العظام حتى مع استخفافه لها»[4].

وهذا المعنى التحليلي النفسي، والأخلاقي، ترجم الى معنى عملي في ساحة الطف، بهيئة تشد الأنظار إليها على كرور الليالي والأيام.

---

(١) لسان العرب: ج ٦، ص ٢٠، مادة «بأس».

(٢) جامع السعادات للنراقي: ج ١، ص ٦٩.

(٣) مقدمة في علم الأخلاق للسيد كمال الحيدري: ص ٦٣ - ٦٤.

(٤) مقدمة في علم الأخلاق للسيد كمال الحيدري: ص ٦٣ - ٦٤.

إذ من الطبيعي أن يتصف الفرسان الذين خبروا الحرب وعاشوا معتركها وواكبوا خطوبها بالشجاعة وبكبر النفس عند الأهوال؛ لأن هؤلاء الفرسان قد تؤهلوا لحمل الأمور العظام حتى استخفوها.

ولكن أن ترى غلام لم يبلغ الحلم يحمل من الشجاعة، وكبر النفس بمستوى ندر أن يقوم به الفرسان! فهذا هو الجمال بعينه، وهذه هي النفس الكبيرة التي احتظنها القاسم بين جنبيه لتتجلى أول ملامح جمالها حين خرج الى المعركة فارتجز قائلاً:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن	**سبط النبي المصطفى والمؤتمن**
هذا حسين كالأسير المرتهن	**بين أناس لا سقوا صوب المزن[1]**

فكان هذا الصوت المدوي يسير جنباً إلى جنب مع صارمه الذي يضربهم به، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل على صغره خمسة وثلاثين رجلاً[2] ليظهر للتأريخ ثاني ملامح جمال شجاعته.

حتى إذا وقف ليشد شسع نعله الذي انقطع وهو يقاتلهم غير آبه مما حوله من العسكر فكبر نفسه أعظم من هذه الجيوش ورباطة جأشه أصلب من صحائف السيوف التي بدت في ناظره أهون من شسع نعله المقطوع، ولذا انحنى يصلحه وهذا هو السبب الأول.

---

(١) العوالم للبحراني: ص ٢٧٨. معالم المدرستين للعسكري: ج ٣، ص ٣١٥. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٧٥.

(٢) البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٣٤.

وثانياً ليعيد إلى الأذهان المعنى الذي قدمه أمير المؤمنين عليه السلام في تقييمه للخلافة التي تكالب عليها البعض واستهانته لها. قال عبدالله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: **ما قيمة هذه النعل؟**

فقلت: لا قيمة لها.

قال: **والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا**[1].

فكان انحناء القاسم لإصلاح نعله في المعركة هو تجسيدٌ لهذا المعنى. أي إن هذه الخلافة التي تقتلون من أجلها أولاد الأنبياء هي عندنا أهو من شسع هذا النعل المقطوع.

ولذلك علموا مقصود فعله وفهموا فحوا عمله فاستشاطوا غيضاً وعزموا على اثكال عمه الحسين عليه السلام فانعطف عليه من لا يجد غير ظهوراً لفرسان موضعاً للنزال فضربه على رأسه.

لكن الغادر لم يستطع بشفير سيفه أن يمحوا ملامح جمال شجاعة القاسم حين هوى على صعيد كربلاء يرسم بدمه مشهداً من مشاهد العزة والحياة. مشهدٌ زخر بالقيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية التي تجلت في ساحة الطف فكان من بينها جمال الشجاعة وكبر النفس الذي تجاوز حد الخيال حين نحر غلام لم يبلغ الحلم وهو يدافع عن قيم السماء.

(١) نهج البلاغة: ج ١، ص ٨٠، نشر دار الزخائر - قم. البحار للمجلسي: ج ٣٢، ص ٧٦. مجمع البحرين للفري للطريحي: ج ٣، ص ٥٥٩، مكتب النشر الثقافة الإسلامية. أصل الشيعة وأصولها للشيخ كاشف الغطاء: ص ١٩٣، نشر مؤسسة الإمام علي عليه السلام. دراسات في ولاية الفقيه للشيخ المنتظري: ج ٢، ص ٦٣.

المشهد الحادي والعشرون:

جمال الأبوة في عاشوراء

ذكر المؤرخون وأصحاب تدوين مقتل الإمام الحسين عليه السلام، الحالة التي كان عليها الإمام الحسين عليه السلام عند خروج ولده علي الأكبر عليه السلام، بوصف فاق كل تصور عن الحس الوجداني لهذه اللحظات؟!.

ومن يملك مثل وجدان المعصوم وعاطفته الأبوية.

وصف بدا فيه الجمال يزهو ويتسامى كتسامي صاحبه، وعلو نفسه. ولكن أي جمال هو الذي بدا على الحسين عليه السلام وهو الوالد عند خروج ولده للموت؟!.

أنه جمال الحزن في عين أبٍ لم يجد في قواه ما يعينه على حبس الدمع، فانهدر كحبات لؤلؤ منضوم خيط بأهاتٍ وزفرات لوالد مفجوع، فهوت على صدره، كعقدٍ لا للتزين صنع؛ ولكن ليسند القلب في دقاته. فقد كاد إن يقف مع آهاته ليرافق الابن في خطواته.

منادياً: بني علي، القلب أنت في نبضاته.. بني قلبي تسجى مذ بدا منك الخروج للخصم وملاقاته.

آه، ثم ألف آه، وألف؛ على شبيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كيف للترب أن يعلو وجناته.

جمالٌ ما بعده جمال بدا على والدٍ مفجوعٍ.. جمال لا يراه إلا من كان إنسان في محتواه.

ولذلك وصف أصحاب المقاتل حال الحسين عليه السلام بهذه الكلمات المؤلمة عند خروج علي الأكبر عليه السلام: «لم يتمالك الحسين عليه السلام دون أن أرخى عينية بالدموع وصاح بعمر بن سعد: مالك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسلط عليك من يذبحك على فراشك.

ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء، وقال: اللهم أشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وكنا إذا اشتقنا الى رؤية نبيك نظرنا إليه، اللهم فامنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضى الولادة عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] [2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٣ - ٣٤.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم رحمه الله: ص ٢٧١. البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٤٣. اللهوف لابن طاووس: ص ٦٧. المجالس الفاخرة للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله: ٢٤٢، ط مؤسسة المعارف. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٦٩. مقتل الخوارزمي: ج ٢، ص ٣٠.

المشهد الثاني والعشرون:

جمال الأخوة في النصيحة

يمكن فهم هذا الجمال ورؤياه من خلال زيارة أبي الفضل عليه السلام ؛ إذ كشفت الكلمات التي وردة عن الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة عن هذا الجمال الذي تجسد بواقع محسوس وملموس من خلال تلك المواطن التي ظهر فيها الجمال وشخصها حديث الإمام الصادق عليه السلام.

فكل فضيلة أخلاقية أو كمال نفسي لابد أن يكون له ظهور أو تجلي تراه العيون وتنقاد له العقول.

وهنا: قد تختلف المداليل بين الجمال المحسوس والمدرك إلاّ أن حقيقته واحدة وهي الأنس القلبي.

فالقلب هو الذي يقرر هذا الجمال، وهو القادر على إدراك تلك التجليات التي يراها المخلصون والعارفون؛ وهو الوحيد الذي يشخص ما تراه العيون فإما النفرة، وأما الأنس.

ولذلك، ظهر جمال الأخوة في عاشوراء في ثلاث ركائز هي: «الناصح، والمواسي، والمدافع» لتشكل هرماً حصيناً بدى في غاية المتانة والرصانة والحسن.

الركيزة الأولى: النصح

قال عليه السلام: «**أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك**»[1].

---

(1) ضياء الصالحين: ٢٣٢، ط دار القارئ.

وهنا يشير الإمام الصادق عليه السلام الى صفة خاصة امتاز بها العباس بن علي عليهما السلام ، وأن هذه الصفة لا تكشف فقط عن جمال أخوته للحسين عليهما السلام ؛ وإنما تكشف عن رتبته الإيمانية ؛ وتكشف أيضاً عن السبيل الذي أوصله الى هذا المقام الرفيع والدرجة السامية.

والنصح في اللغة : هو الخلوص.

قال الأصمعي : الناصح الخالص من العسل وغيره ، مثل الناصع ، وكل شيء خلص فقد نصح[1].

وقال الزبيدي : النصح ، والنصيحة ، والمناصحة : إرادة الخير للغير وإرشادهُ له.

وفي النهاية لابن الأثير : النصيحة ، كلمة يعبر بها عن جملة ، هي : إرادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها.

وقال الخطابي : النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ؛ قال ، ويقال : هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام ، وأنه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة.

وقال : النصح الخلوص مطلقاً ، والنصيحة كلمة جامعة ، مشتقة من مادة (ن -ص-ح) الموضوعة لمعينين ، أحدهما الخلوص والنقاء ، والثاني الالتئام والرفاء[2].

---

(١) الصحاح : ج ١ ، ص ٤١٠.

(٢) تاج العروس : ج ٤ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٣.

ومن هذا المعنى اللغوي أتضح أن المراد من قول الإمام الصادق عليه السلام وشهادته لأبي الفضل بأنه: نصح لله ولرسوله ولأخيه، هو: أنه خلص لله ولرسوله ولأخيه. بل أنه عليه السلام قد بالغ في النصح لقول الصادق عليه السلام: «**وأشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود**».

فكان هذا الإخلاص أحد الركائز التي تشكل منها مفهوم جمال الأخوة في عاشوراء.

الركيزة الثانية: المواسي

قال عليه السلام: «**فنعم الأخ المواسي لأخيه**».

قالوا في اللغة: وآسيته، أي: عزيته.

والأُسوة، والإِسوة بالكسر والضم، لغتان، وهي ما يأتسي به الحزين.

وسمي الصبر: أسن؛ والأسوة: أي القدوة، ولي في فلان أسوة: أي قدوة إتمام[1].

ومن هذا المعنى: يتضح أن العباس عليه السلام كان نعم العزاء الذي يتعزى به الحسين عليه السلام في يوم محنته وحزنه.

وله معنى آخر يظهر من البيان اللغوي الذي مرّ، وهو أن العباس عليه السلام كان نعمّ ما يتصبّر به الحزين على حزنه.

وبالإضافة إلى ذلك فإن كلام الإمام الصادق عليه السلام يشير الى حقيقة احتضنتها مفردة «المواسي لأخيه»!؟

(١) الصحاح للجوهري: ج ٦، ص ٢٢٦.

وهي: أن هذا التأسي والصبر والعزاء منبعه هو الحسين عليه السلام، بمعنى: أن هذه المنقبة الخاصة أُخذت من الإمام الحسين عليه السلام لأنه كان الإمام والقدوة التي اقتدى بها العباس عليه السلام؛ لأن الأسوة: هي القدوة.

الركيزة الثالثة: الدافع

قال عليه السلام: «**والأخ الدافع عن أخيه**».

وهنا: يشير الإمام الصادق عليه السلام الى الركيزة الثالثة التي تكوّن منها مفهوم جمال الأخوة في عاشوراء.

ويمكن فهم معنى هذه الخصوصية من خلال ما أفاده أهل اللغة في بيانهم لمفردة: «الدفع» فـ: دافع عنه ودفع، بمعنى: دافع الله عنك السوء دفاعاً؛ واستدفعت الله الأسواء، أي طلبت منه أن يدفعها عني[1].

والمعنى الجميل الذي ورد في بيان أهل اللغة أنّ الدفاع: هو الشيء العظيم الذي يدفع به العظيم مثله[2].

أي: أنه عليه السلام كان يدفع عن أخيه الشيء العظيم وأن حجم هذا الدفاع يمكن معرفتهُ من خلال نفس الشيء الذي دفع. وهو هذا الجيش الجرار الذي بلغ تعداده أكثر من ثلاثين ألفاً يقابلون ثمانية عشر من بني هاشم واثنين وسبعين من أصحاب الحسين عليه السلام.

---

(١) تاج العروس للزبيدي: ج ١١، ص ١١٥ - ١١٨.

(٢) المصدر السابق.

وهناك معنى آخر عند أهل اللغة: وهو أن «المدافع» هو: الأسد[1].

وهذا المعنى يكشف عن صورة جمالية خاصة في جانب من جوانب الأخوة التي امتاز بها العباس عليه السلام وهي: أنه دفع عن أخيه تلك المسوخ البشرية وما يلف بها من مناظر موحشة ووجوه مقفرة، كما يدفع الأسد عن المكان الذي يرى فيه جميع أصناف البهائم والوحوش، فلا يجرا أحد منها على الاقتراب؛ وكذلك كان حال الأعداء في يوم الطف فقد دافع العباس عن أخيه عليهما السلام وكأنه الأسد الذي لم يرهبه شيء، بل دفع عن أخيه كل شيء فيه ضرر.

ولما كان هذا المعنى حاضراً في وجوده عليه السلام، فكم يكون حجم المصيبة والأسى والحزن في فقده!؟ وكم يكون حجم الخلة والفراغ الذي تركه باستشهاده عليه السلام !؟.

ولأجله قال الحسين عليه السلام: «**الآن قد انكسر ظهري، وقلت حيلتي، وشمت بي عدوي**».

فكان جمال تجلى مفهومه وحسنه في تلك الكلمات التي فاضت من قلب الإمام الحسين عليه السلام، حين وقف على أخيه وهو مخضب بدمائه وقد تفانى في: «النصيحته، والمواساة، والمدافعة» لأخيه، ليرسم صورة من الأخوة الفريدة في الوجود الإنساني.

---

(١) تاج العروس: ج ١١، ص ١١٥ - ١١٨.

المشهد الثالث والعشرون:

جمال الغربة في الحنين الى الأهل والأصحاب

من البديهي أن لا يحب الإنسان الغربة ولا يسعى إليها إلاّ مضطراً ؛ فهي كما قيل : «أن الغربة كربة»[1].

وقال الشاعر :

حسنوا القول وقالوا غربة إنما الغربة للأحرار ذبح[2]

وقد تغرب رسول الله ﷺ وأبعد عن وطنه ومسقط رأسه ودار أهله وعشيرته وحبس في شعب أبي طالب عليه السلام ، فعانى آلام الغربة وهو في وطنه.

وممن تغرّب من أهل البيت عليهم السلام الإمام الحسين عليه السلام ، والإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وبقية الأئمة من ولد الرضا عليهم السلام أجمعين.

إلاّ أن الغربة التي يتأسى بها المغتربون هي غربة الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، إذ لم يتجرع مغترب من الألم كما تجرعه الإمام الحسين عليه السلام . وخاصة تلك اللحظات التي أصبح فيها وحيداً وقد أحاطت به السيوف والرماح والسهام من كل جانب.

---

(١) تفسير الآلوسي : ج ١٢ ، ص ١٩١ - تفسير سورة يوسف.

(٢) نفس المصدر السابق.

ولذلك.. كان الإمام الباقر عليه السلام يصبّر مواليه وشيعته الذين تغربوا ؛ بالتأسي بغريب كربلاء عليه السلام.

قال محمد بن مسلم : خرجت الى المدينة وأنا وجع ثقيل ، فأرسل أليّ أبو جعفر عليه السلام شراباً مع غلام ، مغطى بمنديل فناولينه الغلام ، وقال لي : أشربه فإنه قد أمرني أن لا أبرح حتى تشربه.

فتناولته ، فإذا رائحة المسك منه ، وإذا بشراب طيب الطعم بارد ، فلما شربته قال لي الغلام : يقول لك مولاك إذا شربته فتعال.

ففكرت فيما قال لي وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي ، فلما استقر الشراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال ، فأتيت بابه فاستأذنت عليه ، فصوّت بي : صح الجسم ، أدخل.

فدخلت عليه وأنا باك ، فسلمت عليه وقبلت يده ورأسه ، فقال لي : **«ما يبكيك يا محمد»** ؟.

قلت : جعلت فداك أبكي على اغترابي ، وبعد الشقة ، وقلة القدرة على المقام عندك أنظر إليك.

فقال لي : **«إما قلة القدرة، فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودتنا، وجعل البلاء إليهم سريعا. وأما ما ذكرت من الغربة، فإن المؤمن في هذه الدنيا غريب، وفي هذا الخلق منكوس، حتى يخرج من هذه الدار الى رحمة الله»**.

وأما ما ذكرت من بعد الشقة ، فلك بأبي عبد الله عليه السلام أسوة بأرض نائية عنّا بالفرات.

وأما ما ذكرت من حبك قربنا، والنظر إلينا، وأنك لا تقدر على ذلك، فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه.

ثم قال لي: **هل تأتي قبر الحسين** عليه السلام، قلت: نعم على خوف ووجل.

فقال: **ما كان في هذا أشد، فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إيتانه، أمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، ورآه النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **وما يصنع ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء، واتبع رضوان الله**[1].

إذن: على المؤمن الذي ابتلي بالغربة، أن يتأسى بسيد الشهداء عليه الصلاة والسلام، ويتحسس منه الجمال المكنون في الغربة، والذي تجلى في حنينه الى أهله وصحبه وبكائه عليهم بدمعٍ غزير كأنه ريشة رسامٍ خطت على صفحات الخدود صور وجوه الأهل والأصحاب. فكم من مغتربٍ قد أنسته السنين جمال الحنين إلى الأهل والوطن.

لكن هذا الحُسن والجمال أظهره الحسين عليه السلام في هذه الكلمات التي خاطب بها أهله وأصحابه وقد وقف ينظر إليهم فلم يرَ أحداً من أصحابه

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ص ٤٦٣، ط مؤسسة نشر الفقاهة. مستدرك الوسائل للنوري: ج ، ص ٤٣٦، ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. الاختصاص للمفيد رحمه الله: ص ٥٣، ط دار المفيد، مدينة المعاجز للبحراني: ج٥، ص ١٢٥، ط مؤسسة المعارف الإسلامية، بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٦، ص ٣٣٤. كشف اللثام للفاضل الهندي: ج ٩، ص ٢٨٦، ط مؤسسة النشر الإسلامي.

وأنصاره إلاّ من صافح التراب جبينه، ومن قطع الحمام أنينه فنادى عليه السلام:

«يا مسلم بن عقيل، ويا هاني بن عروة، ويا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا يزيد بن مظاهر، ويا يحيى بن كثير، ويا هلال بن نافع، ويا إبراهيم بن الحصين، ويا عمير بن المطاع، ويا أسد الكلبي، ويا عبد الله بن عقيل، ويا مسلم بن عوسجة ويا داود بن الطرماح، ويا حر الرياحي، ويا عبدالله بن عقيل، ويا علي بن الحسين.

ويا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجاء، مال أناديكم فلا تجيبون، وأدعوكم فلا تسمعون؟! أنتم نيام أرجوكم تنتبهون، أم حالت منيتكم عن إمامكم فلا تنتصرونه؟! فهذه نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لفقدكم قد علاهن النحول فقوموا من نومتكم، أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون، وإلا لما كنتم عن دعوتي تقصرون، ولا عن نصرتي تحتجبون، فها نحن عليكم مفتجعون، وبكم لاحقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[1].

صورة تعددت فيها مشاهد الحنين للأهل والأصحاب فكانت مؤنساً لمن يبحث في زحمة الهموم.

عن مؤنسٍ يجلى عنه هموم الغربة وبعد الأحبة.

---

(١) ناسخ التواريخ: ج٢، ص٣٧٧، ط المكتبة الإسلامية - طهران. معالي السبطين: ج٢، ص١٩، ط منشورات الشريف الرضي - قم. مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٣٣، ط مؤسسة الوفاء - قم.

المشهد الرابع والعشرون:

جمال المكثور في رباطة جأشه

اعتمدنا في البحث على إظهار الجمال في مواضع الوحشة والألم في يوم عاشوراء. ومن هذه المواضع المؤلمة والحزينة، هي: «المكثور».

والمكثور: المغلوب، وهو الذي تكاثر عليه الناس فقهروه[1].

وهنا.. في يوم عاشوراء الحسين عليه السلام، لم يكن - بأبي وأمي - مكثوراً فقط وإنما قتلوا ولده وأهل بيته وأصحابه أي بمعنى: قد يغلب بعض الرجال بتفردهم في المعركة وتكاثر الناس عليهم فيقهرون ويقتلون في أماكن عديدة جرى فيها القتال ولاسيما إن طبيعة الجزيرة كانت قائمة على الاقتتال والإغارة فيما بين القبائل.

ولكن.. أن يرى مكثوراً قد تكاثر الناس عليه بعد قتل ولده وصحبه وهو يقاتلهم أشد القتال الذي أعجزهم عن المواجهة فأخذوا يفرون من بين يديه فرار المعزى إذا شد عليها الذئب!! فهذا مناط فقط بالإمام الحسين عليه السلام.

لدرجة أذهلت العدو وأدهشت المراقب، حتى قال عبد الله بن عامر بن يغوث: «**ما رأيت مكثورا قط، قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشا**

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ج ٥، ص ١٣٣.

منه، ولا أمضى جنانا ولا أجرأ مقدما، ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له أحد»[1].

وهذا المشهد الجمالي الذي ظهر لعبد الله بن عامر حيره واشغل فكره فهو لم يرَ جمالاً بهذا الحسن الذي تجلى في رباطة جأش الحسين عليه السلام. وكأنه قمر قد شق نوره الغيوم، فأنسى الناظر وحشة الظلام، وأفضى على قلبه السكينة والسلام.

فأي: قلب يمتلك هذا الثبات وأي نفس أربط من هذه النفس، وأي روح أمضى وأجرأ وأقدم من روح سيد الشهداء عليه السلام؛ «ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له أحد».

المشهد الخامس والعشرون:

جمال العوز والحاجة في الإيثار

يمكن القول بأنّ عاشوراء كلها مواضع للحاجة والعوز، وخاصة ما يتعلق بالاحتياجات الإنسانية كالماء، والطعام، والأمن، ولاسيما وإن هناك مجموعة من الأطفال والنساء.

إلا أنّ التاريخ سجل في هذا اليوم موقفين بدا فيها جمال الحاجة والعوز يتجلى في الإيثار.

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ص ٢٨٨.

بمعنى آخر: إن هذه الفضيلة الأخلاقية يظهر جمالها في مواضع الحاجة والعوز فتكون تلك المواضع جميلة لأنها أظهرت جمال الإيثار.

الموضع الأول

وأول هذه المواقف من حيث الوقوع الزمني هو: نزول العباس عليه السلام الى النهر لملئ القربة وحملها الى معسكر أخيه الحسين عليه السلام: فلما لامست يديه الماء وأحس ببرودته وهو في شدة العطش لأنه لم يشرب الماء منذ ثلاثة أيام مع ما رافق هذا اليوم من حملات وقتال في غاية الشدة؛ إذ ليس من الأمر الهين أن يتم قتال أربعة ألاف فارس[1] كانوا موكلين بالفرات بقيادة عمرو بن الحجاج وكشفهم عنه.

كل ذلك جعله يغترف من الماء ويقربه ليشرب إلاّ أن هذا العطش المتأجج في أحشائه عليه السلام والذي بادر لإطفائه لم ينسه عطش أخيه الحسين فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين وارد المنونِ ... وتشربين بارد المعينِ

تالله ما هذا فعال ديني[2]

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤١، الدمعة الساكبة: ج ٤، ص ٣٢٢.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ١٧٩، المطبعة العلمية قم، ينابيع المودة للقندوزي الشافعي: ج ٣، ص ٦٧، ط دار الأسوة. مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ص ٢٨١، ط مؤسسة النور. أبصار العين للسماوي: ص ٦٢.

على الرغم من أن شربه للماء لم يؤثر على إخلاصه لأخيه إلا أنه آخره على نفسه وبالغ في ذلك وأعطى غاية المجهود كما شهد بذلك الإمام الصادق بقوله: «**قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود**».

وهذا يدلل على حجم العطش والحاجة إلى شرب الماء، ويدلل أيضاً على انكشاف هذا الجمال وظهور حسنه لكل من كانوا أهلاً لحمل الفضائل، والقيم، والحس الإنساني، فهم الوحيدون الذين يرون هذا الحسن والجمال.

الموضع الثاني

لتجلى هذا الجمال، هو: وقوف الإمام الحسين عليه السلام على الماء حينما حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي وكانا في - عدة آلاف - من الرجال على النهر، وأقحم الفرس على الفرات، فلما أولغ الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام: «**أنت عطشان وأنا عطشان، والله لا ذقت الماء حتى تشرب**».

فلمّا سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام شال رأسه ولم يشرب كأنّه فهم الكلام، فقال الحسين عليه السلام: «**أشرب فأنا أشرب**» فمدّ الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء.

فقال فارس: يا أبا عبد الله، تتلذّذ بشرب الماء وقد هتكت حرمك؟ فنفض الماء من يده، وحمل على القوم فكشفهم، فإذا الخيمة سالمة[1].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ٥٨، ط انتشارات العلامة - قم -. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥١. مدينة المعاجز للبحراني: ج ٣، ص ٥٠٥. العوالم؛ ←

فهل شهدت الحضارة الإنسانية بكل قيمها، وأمجادها، وعناصر بناءها، وأفراد تشيدها، موقفاً حضارياً وإنسانياً مثل هذا الموقف؟.

وهل شهدت القيم الرسالية، والإنسانية، إيثارٌ تجلى فيه كل هذا الجمال؟ إنه جمال عاشوراء في قيّمها الحسينية.

المشهد السادس والعشرون:

جمال الطفولة في إدخالها السرور على الناظر

سئلت بعض الأمهات عن جمال الطفولة أين يكمن؟ فقال بعضهن: أنه في البراءة؛ والبعض رأى أنه في لعبهم وألعابهم؛ والبعض الآخر في نعومتهم؛ بينما رأين أخريات أن جمال الطفولة في مناغات وأول نطقهم ودلالهم وغير ذلك.

إلاّ أنني وجدت من خلال هذه الآراء إن جمال الطفولة يكمن في إدخالها السرور على الناظر.

بل وجدت أنّ الناظر إلى الطفل تلازمه ابتسامه دون أن يلحظ أحياناً أنه ابتسم، وأحياناً أنه لا يدرك السبب لهذه الابتسامة؟ فقد يكون السبب هو تذكرة عبور من عالم إلى عالم آخر، وربما هي مقدمه لبداية علاقة، أو هو تعبير عن الشكر لأنه أدخل السرور على قلب الناظر إليه، ويمكن أن هذه الابتسامة هي رسالة حب لا تستطيع قراءتها غير هذه العيون الصافية.

الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٤.

إلاّ أن للطفولة في عاشوراء جمال غير هذا كله ؛ حينما وضع الحسين عليه السلام وهو الأب الذي كان قبل لحظات قليلة قد فقد ولده الشاب في ساحة المعركة، ورأى ما صنع به الأعداء، من تقطيع لبدنه الذي شابه بدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ورأى أيضاً أهله وأصحابه مجزرين كالأضاحي في ساحة كربلاء قد صافح التراب جبينهم وقطع الموت أنينهم.

وربما تكون لهذه الابتسامة وهذه العيون أسباب غير هذا كله أفصحت عنها عاشوراء حينما جاء الأب المفجوع يشق طريقه بين أجساد الأحبة وصراخات الأطفال وآهات الأمهات، وزفرات الأرامل. خطوات ثقيلة كثقل مصائب كربلاء أخفاها الوالد المكروب بين أحجار غربته وصخور حزنه عن ناظر الطفل الرضيع حينما وضعه في حجره الدافئ يحنو عليه كمحارة انحنت على لؤلؤتها.

هنا.. كانت نظرتان رافقتهما ابتسامه، الأولى من أب مفارق لرضيعه الذي أحاطة به الأخطار، والثانية من طفل لم يذق الماء منذ ثلاثة أيام فغارت عيناه، ويبست شفتاه، وتشققت، كأنها أرض تصرخ لطلب الماء.

أمّا نظرة الوالد المفجوع كانت ممزوجة بالدمع والابتسامة ؛ فدمعه كان يحكي لطفله قصة ما جرى على أخوانه وأهله وأحبابه وعماته، كي يكون شاهداً على ما جرى عند خروج المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف. حينما يكون بينهما اللقاء في كربلاء.

وأمّا ابتسامته التي شقت طريقها من بين هذه الدموع خاطبته: شكراً لك ولدي الرضيع، فها قد أدخلت بعض السرور على قلب الذي لم يبقى فيه موضع لم يصب. بني، اصبر قليلاً، فها هي جدتك الزهراء قد مدت يداها إليك لتضمك إلى صدرها وتسقيك. والنظرة الثانية، نظرة الطفل الرضيع في وجه أبيه، فأنها كانت تحكي له أمنيات عديدة؛ أولها أن يفديه كأخوته، وثانيها أن يحمله إلى مكان بعيد، أو أن يأتيه بجده النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه علي عليه السلام، وعمومته حمزة بن عبدالمطلب وجعفر الطيار وبني هاشم، أو لعله يستطع أن يجمع له أنصاراً يلبون استغاثته، أو أن يأتيه بالماء آه لهذه الطفل الرضيع كم كانت أمنياته كثيرة لم يجد لها سبيل، ولم يملك بعدها غير هذه الابتسامة في وجه أبيه من ثغرٍ شققه العطش. عله يدخل على قلبه شبح السرور ويحمل عنه بعض هذه الهموم فهذا الذي يملكه في الحقيقة.

لكن.. آه، وألف آه، لهذه الحقيقة وهذه الابتسامة التي نحرت في حجر أبيه فضاعت معها الأمنيات وذبحت معها ابتسامة الرضيع صاحبها بسهم ذبح معها الرضيع. فأطفئ جماله، وقتل سرور أبيه!!!.

فلا سرور في قلوب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا الرضيع، حين نحر جمال الطفولة في حجر الحسين عليه السلام[1].

---

(١) راجع في تفاصيل مقتل الطفل الرضيع: ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج ٣، ص ٧٨، ط دار الأسوة. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ٢، ص ٣٢. اللهوف: ص ١١٦. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦. نفس المهموم: ص ٣٤٩.

المشهد السابع والعشرون:

جمال العارية في الحسب

هنا في هذا المشهد ننتقل إلى قضية اجتماعية متشعبة لا يسعها هذا العنوان إلا إننا سننتقي ما يفي بغرض الموضوع الذي اخترناه للبحث.

لأن الحديث عن الأعراق، والأجناس، وجذور تكون الأمم والشعوب، حديث اشترك فيه العديد من الاخصائين في المجالات المختلفة في العلوم الاجتماعية. إلا إننا هنا.. نتحدث عن الجمال في عاشوراء فقد بدا فيها أنّ للأقوام في تكوينها ونشأتها جمال أيضاً.

فالعرب، هم: العرب العاربة، أي الصريح منهم. والأعاريب: جماعة الأعراب[1].

ورجل عربي، وامرأة عربية. ونقول: قوم ما بها عريب، أي: ما بها عربي.

وقيل: العُرْبُ والعَرَبُ: جيل من الناس معروف، خلاف العجم، وهما واحد[2].

والعرب العاربة لها جمال تجلى في احسابهم فهي شرف الآباء وأمجاد أفعالهم الحسنة؛ ولذلك كانوا يحافظون عليها ويتفاخرون فيما بينهم بها، لأنها مصدر عزهم وفخرهم بين الناس.

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج ١، ص ٥٨٦.

ومن هنا:

يضع الإمام الحسين عليه السلام أحد المناهج في التربية الاجتماعية، يقوم على أساس المحافظة على هذه الأحساب العربية بكونها رادعاً يمنع الإنسان عن القيام برذائل وأفعال مشينه تخل بهذا الرصيد الشخصي والأسري لهذا العربي أو ذاك.

ولذا.. خاطبهم حينما برز للقتال بنفسه ومهجته المقدسة فرآهم يخططون أثناء القتال لعزله عن حُرمه أي: بنات الرسالة ومن لأذبهنّ من نساء الأنصار؛ عندما صاح عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الانزع البطين[1]، هذا ابن قتال العرب، أحملوا عليه من كل جانب.

فأتته أربعة آلاف نبله، وحال الرجال بينه وبين رحله فصاح عليه السلام بهم: **«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرار في دنياكم وأرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون»**.

فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: أنا الذي أقاتلكم، والنساء ليس عليهنّ جناح فأمنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً[2].

---

(١) المراد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد مرّ بيان صفة جماله.

(٢) البحار: ج ٤٥، ص٥١.

والخطاب الحسيني على قائله الصلاة والسلام، يحدد عوامل تقويم السلوك الإنساني، وكفه عن الوقوع في الرذائل؛ وهو في أشد حالات انكشاف النفس: حيث الاستعانة بالسلطة، والانقياد للشهوة المتأججة في الحصول على أبخس الأثمان، والتكالب على موضع قدمٍ عند عمال السلطة، ناهيك عن البغض لآل أبي طالب عليهم السلام.

كل هذا الانكشاف والتعري لهذه النفوس التي زحفت لقتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يمنع الإمام الحسين عليه السلام في تقديم الموعظة التي تدور مدار الزمن، الذي يتجدد بظهور هذه الأنفس، ووضع العوامل التي تمكن هذه النفوس من الكف عن الرذيلة.

فقال: «**يا شيعة آل أبي سفيان**».

وهنا حدد عليه السلام الهوية العقائدية والحزبية السياسية لهذه المجموعة، وهذا أولاً.

ثانياً: الأسس التي تكونت منها هذه المجموعة، وكانت مكوناً نشئوياً لها، هي:

١ ـ إن لم يكن لكم دين.

٢ ـ وكنتم لا تخافون المعاد.

«**فارجعوا**».

هنا: حدد الإمام الحسين عليه السلام المنهج الذي يعتمد عليه في تقويم السلوك الإنساني كي يحميه من الانحراف فإن حدث هذا الانحراف فتقويمه يكون بالرجوع إليهما، أي: الدين، والخوف من المعاد.

ولكن: في حال انعدام الدين، وفقدان الخوف من المعاد. فالمناهج الذي يستخدم في تقويم السلوك هو هذه العوامل:

١ - كونوا أحراراً في دنياكم.

٢ - وأرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون.

فالعامل الأول يدور مدار الحس السايكولوجي (النفسي)، القائم على تحرر النفس من عبودية الشهوات وذل رقها.

والثاني يدور مدار الحس السوسيولوجي (الاجتماعي)، القائم على التمسك بالقيم التي نشأ عليها العرب الاعاربة، وتمسك بها أبناءهم، لأنها رصيدهم الاجتماعي، وموضع عزهم وفخرهم.

إلا أنهم اثبتوا بقتلهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ليس لهم ضابط من الضوابط، السلوكية النفسية والاجتماعية، والدينية والقومية.

إذن:

هو مشهد آخر من مشاهد عاشوراء برز فيه جمال العرب في أحسابهم وتمسكهم بقيمهم إن كانوا عرب كما يدعون.

المشهد الثامن والعشرون:

جمال شدة البأس في النجدة

من الواضح أن جميع مجريات عاشوراء جرت في أجواء الحرب؛ ابتداءً من تجمع الجيوش ومحاصرتها للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، في أرض كربلاء، ثم تخيره عليه السلام بين النزول عند رغبة طاغية زمانة ومبايعته قهراً، وهو الإذلال؛ وبين قتاله الذي أبت نفسه المقدسة إلا باختياره. فأعدّ مع هذه القلة القليلة مواضع الدفاع، وتفقد التلاع والعقبات، وقارب بين الخيام، وحفر مع أصحابه وأهل بيته خندقاً خلف الخيام.

وكانوا مع هذه الأجواء يعيشون أجواءً أخرى وهي: العطش، والجوع، فقد قطعوا عنهم الماء منذ ثلاثة أيام. فكانت النساء والأطفال تعيش حرباً نفسيه واقتصادية قبل الشروع في القتال. وما تخلفه من خوف وهلع على نفوس هذه النسوة ومن لاذ بهنّ.

حتى إذا بزغ الفجر وطلع خيط الصبح زحفت هذه الجموع المؤلفة نحو مخيم الحسين وأهل بيته وصحبه عليهم السلام. هذه الأجواء العصيبة كلها تدخل ضمن مسمى لغوي، هو: (البأس)؛ فإذا اشتبك القوم والتحموا، كان هو: «الشدة في البأس»؛ وكلما أشتد القتال أشتد معه باس الرجال المحاربون.

وهنا..

في مشتبك الرماح، ومشتجر السيوف، تستغيث امرأة تطلب النجدة والخلاص من أرذل الخلق وأخسهم وأوضعهم؛ فمن ينجدها والحرب هذا حالها.

ولذا كان الأدهن والأعظم من هذا الحال! هو أن تنكشف هذه الجموع وتقلب ميمنتها على ميسرتها؛ حين حمل عليها ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام وهو يقول:

أنا الحسين بن علي	**آليت أن لا أنثني**
أحمي عيالات أبي	**امضي على دين النبي**

قال عبدالله بن يغوث: ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته، وصحبه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له أحد.

ثم يشتد القتال في أقصى درجاته، فينادى عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه من كل جانب، فأتته أربعة آلاف نبله. وحال الرجال بينه وبين رحله[1].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص ٥٤. بحار الأنوار للمجلسي: ص ٥٠. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٣. مستدرك سفينة البحاري للشاهرودي: ص ٣٧٢. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٧٧. البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٤. اللهوف لابن طاووس: ص ٧٠، ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد: ص٧٤، ط الهدف للأعالم. المجالس الفاخرة لشرف الدين رحمه الله: ص ٢٤٧.

وفي هذه اللحظات التي لم يشهد مثلها التاريخ، ولا ظهر فيها مثل هذا الجمال، الذي تجلى في غيرة الرجال وحميتهم، لم يغفل أبو عبدالله عليه السلام عن صون حرمه!؟.

بل إن التاريخ ليسجل هنا، بأحرف خالدات كخلود صاحبها، موقف جمالي آخر تجلى فيه جمال النجدة التي لم ير مثلها واقعاً عملياً كالذي جسدته عاشوراء على أرض كربلاء.

فبعد هذه الآلاف من النبال واشتداد القتال، كان العطش يشتد به أكثر!!. فحمل - بأبي وأمي - نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان في أربعة الآلاف فكشفهم عن الماء، وأقحم الفرس الماء. - فيتجلى مشهد آخر من الجمال[1]؛ - ولما مدّ أبو عبدالله عليه السلام يده ليشرب؛ ناداه رجل اتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟!. فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمة[2].

فكانت نجدته لهم، مع شدة عطشه الذي أخذ منه كل مأخذ، لم تمنعه من الأقدام السريع لما دعي إليه، ولم يمهل نفسه حتى هذه الثواني القليلة جداً، التي يستغرقها شرب كف من الماء!!.

إنه موقف احتارت به العقول!! وطأطأة له هامات الرجال، حين بدا تجلي جمال النجدة الحسينية.

---

(١) وقد مرّ بيان هذا المشهد في جمال الحاجة والعون وتجليها في الإيثار.

(٢) البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٥١. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٤.

المشهد التاسع والعشرون:

جمال البراءة حينما تنحر على أعتاب القيم

لو أردنا أن ننظر إلى محلٍ جمعت فيه كل الكمالات والقيم الأخلاقية السماوية لكان هذا المحل هو رسول الله ﷺ؛ ولو أردنا أن ننظر إلى هذا الإرث لمن انتقل وفيمن حل - ما خلا النبوة والوصاية - لوجدناه عند الحسين عليه السلام؛ بل لقد ضم بين جنبيه أرث أصحاب الكساء فكان الدال عليهم والقائد إليهم.

ولو أردنا أيضاً أن نبحث عن البراءة، لوجدناها متألقة في الطفولة، تشع بأنوارها بين تلك السنين الأولى التي يقضيها الطفل.

فكان من عجائب كربلاء وتفردها في وقوع الأحداث أن تجتمع القيم والبراءة في محل واحد لتقدم مشهداً - لا نبالغ أن قلنا أنه لا يتجدد - وأن طال الزمن!؟.

فتأمل فيه فباله من مشهد عجيب!.

حين سقط الحسين عليه السلام من على جواده إلى الأرض، فلبث المجرمون عنه هنيئة، ثم عادوا إليه وأحاطوا به وهو جالس - بأبي وأمي - على الأرض لا يستطيع النهوض.

في هذه اللحظات كان عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وله إحدى عشرة سنة، واقف بباب الخيمة فنظر إلى عمه وقد أحدق به القوم،

فأقبل يشتد نحوه، وأرادت عمته زينب حبسه فأفلت منها وجاء إلى عمه الحسين عليه السلام؛ فرأى بحر بن كعب قد أهوى بالسيف ليضرب الحسين عليه السلام؛ فصاح الغلام: يا ابن الخبيثة أتضرب عمي؟.

فغضب بحر بن كعب وحول الضربة إليه فاتقاها الغلام بيده، فأطنها السيف إلى الجلد، فإذا هي معلقة. فصاح الغلام: يا عماه! ووقع في حجر الحسين عليه السلام، فضمه إليه وقال: «**يا ابن أخي أصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين**»[1].

ولم يكتفوا بهذا الفعل ولم يشفي غليلهم المتأجج بنيران البغض لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا الصنيع فعمدوا على قتل الغلام الجريح وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام بأبشع طريقة إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه بحجر عمه[2].

وإني لا أعلم أأعجب من دفاع هذا الطفل عن القيم المحمديّة ونحره على أعتابها، أم أعجب من صبر الحسين عليه السلام. أم من تصبيره وقوله لهذا الغلام

---

(١) ورفع الإمام يديه قائلا: «اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم تفريقا واجعلهم طرائق قداداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا».

(٢) البحار للمجلسي: ج ٤٥، ص ٥٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٦. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٤٤. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ١٩١. الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ص ٥٥٧. أبصار العين للسماوي: ص ٧٤.

الذي بقت يده معلقة من الجلد «**يا ابن أخي أصبر على ما نزل بك**» أم أعجب من إقرانه عليه السلام للصبر بالاحتساب في حربه للظالمين وهو في هذه الحالة التي تنهار فيها همم الرجال، لكن قلبه عليه السلام لم يفارق الله بل يعلم هذا الغلام سبيل الالتحاق بآبائه الصالحين.

فينكشف عندها مشهد آخر من الجمال، يتجلى فيه جمال الصبر في الاحتساب، ليتعانق مع جمال البراءة حينما تنحر على أعتاب القيم.

المشهد الأخير

جمال الإمام الحسين وهو على رمضاء كربلاء

لقد مرّ في فصول البحث بيان جمال الإمام الحسين عليه السلام؛ إلاّ أنّ هذا لا يمنع من تتبع ورصد جمال الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

فلقد كان هذا الجمال من الألطاف الإلهية التي تجلت في الطف لكل الناس، سواء لمن كانوا يقاتلون معه، أو لأعدائه؛ ولعل سائلاً يسأل عن الفارق بين الجمالين؟ وعن كيفية ظهور هذا التجلي لكل من حضر المعركة؟!.

والجواب:

هو أنّ الرجال والنساء تتغير ملامحهم عند نزول المصائب، واشتداد الابتلاءات، وعظيم الرزايا، بين النحول، واصفرار الوجه، والاضطراب الشديد، وارتفاع ضغط الدم، وارتعاد الفرائص، وارتجاف الأرجل،

ونشفان الريق، وحبس الصوت، وسرعة ضربات القلب، وبرودة الأطراف، وتشتت الفكر، وضياع الكلمات، وتسمر العيون، وتكسر الأنفاس، واضطراب الحواس.

بل قد يؤدي المصاب بكثير من الناس بالخروج عن الطور، والتحول الى مخلوق جديد لا يعي ما يقول ولا يدرك ما يفعل، ناهيك عن الإغماء أو حتى الوفاة والانتهاء بجثة هامدة.

وربما يصل حد التأثر عند كثير من الناس الى الإصابة بعاهة دائمة كالشلل أو العمى، وهو لم يلحظ بأم عينه المصيبة، وإنما لمجرد السماع أنها نزلت بعزيز له؛ وهو ما يرافق بعض الأمهات.

لكن.. كيف هو تأثير المصاب في جمال ريحانة رسول الله ﷺ؟.

هل افقده جماله المعهود؟.

هل تغيرت ملامح الحسن الذي لم يرّ مثلها؟.

هل بقى على تلك الهيئة التي تملأ العين والقلب؟!.

كيف كان الحال الذي عليه أبو عبد الله عليه السلام؟.

هنا.. صورة جمعت بين أطرافها جمالاً وحسناً لم تلتقط عين البشر صورة مثلها؛ فقد تفردت بملامحها وحسنها، كتفرد صاحبها بعظيم مصائبه، وتعدد رزاياه؛ فكان كلما نزل به البلاء والمصاب بدا الجمال يتجلى في وجه أكثر!.

إن هذه الصورة الفريدة في حسنها وجمالها قد شغلت فكر من قدم لقطع رأس الإمام الحسين عليه السلام ، فوقف القاتل مبهوراً مشغولاً بأمرٍ قد عزل عنه الفكر ، وأغلق عليه المسامع ، ولم تجد عينه القدرة في الحركة ، فهي شاخصة في هذا النور الذي تجلى كأنه شبح واقف أمامه ، وهو يسأله : كيف ليدك أن تخترق هذا الجمال !!.

وكم تحتاج من الوقت ، لقطع كل هذا التجلي الذي جمع من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ويلك هذه رسالات ، وأمم ، وكتب ، وألواح ، وصحائف ، قد دونت على صفحات هذا النور المتدفق ، من جبين قد خلق للسجود ، فكان له وسام.

كلمات خيل إليه أنه يسمعها من نور جبين الإمام الحسين عليه السلام ، فلم يجد لها جواباً !!.

فعاد الرجل حائراً ، مشغولاً ، ومن عظيم ما رأى مذهولاً ، فيداه قد فقدت قواها.. فانحنى منها السيف الى الأرض. يخط فيها آثار الانكسار الذي أحس به صاحبه.

لكن السيف ليس هذا حاله لما انحنى للأرض فقد قبلها شكراً لله ، إذ لم يكن بيدٍ قتلت حسيناً فتصلى جهنم ونيراناً.

كلمات ليت صاحب السيف يسمعها.. ويعي ما قدم عليه أهل الظلم والعدوان.

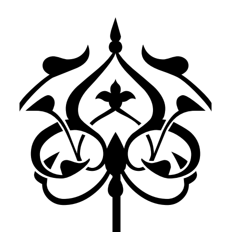
فتلقاه الجمع مالك عدت خائباً، وعن قتل الحسين معرضاً؟ فرد عليهم قائلاً: «وقفت عليه وأنه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قط قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه، ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله»[1].

فكان هذا حال بعض أعدائه فيما رأوا من تجليات جماله! فكيف هو حال أهل بيته وأصحابه.

---

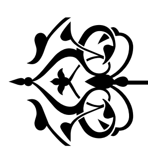
(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص ٧٥، ط أنوار الهدى بقم. مثير الأحزان لابن نما: ص ٥٧، ط المطبعة الحيدرية. مدينة المعاجز للبحراني: ج ٤، ص ٧٧، ط مؤسسة المعارف الإسلامية - قم. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٧. العوالم - الإمام الحسين عليه السلام - ص ٣٠١، ط مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف). لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص ١٨٩، ط مطبعة العرفان - صيدا. المجالس الفاخرة للسيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله: ص ٣٢٩، ط مؤسسة المعارف الإسلامية.

وقد ذكرت هذه المصادر: أن صاحب هذا القول هو (هلال بن نافع)، وإن سبب قوله هو أنه كان في جيش ابن سعد، فسمع الناس تقول إن الحسين قتل، فخرج من بين صفوف الجيش يستعلم الحال. إلاّ أن قوله: شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله، دليل على عزم القائل على قتل الإمام الحسين عليه السلام، لكنه لم يشأ أن يصرح بذلك، فأدعى إنه سمع الناس تقول قتل الحسين، فخرج.



المبحث السابع

مفهـوم الجمـال عنـد العقيلـــة زينـــب عليها السلام



المفاهيم حول الجمال متعددة عند الفلاسفة والمفكرين والشعراء والفنانين، وهي متغيرة لتأثرها بتغير النظرة الى الحياة فقد يرى الفيلسوف في العصر اليوناني غير ما يراه الفيلسوف في العصر الحديث.

وقد يرى الشاعر والأديب غير ما يراه الفنان، إذ أن للزمن أثره في تغير المفاهيم، ولاسيما مفهوم الجمال.

فقد يكون الجمال هو الإحاطة بتلك القراءات لأولئك الذين ينظرون الى الحياة بمنظور خاص. وقد يكون الجمال هو الفكرة والعبرة والتأمل والأنس بها، وقد يكون غير هذا كله.

ومن هنا:

عندما نقف عند الفكر الزينبي نجد أن المفاهيم تختلف عن تلك التي يراها الفلاسفة والمفكرون. والسبب في ذلك يعود الى فردانية المفهوم؛ وثانياً الى تجدده وانسجامه مع الأزمنة وأن تغيرت فيها الرؤا والقراءات.

فلننظر إذن الى فرادنية المفهوم في الفكر الزينبي.

أولاً : من حيث الظهور فهو فريد أيضاً ؛ وفردانيته تكمن في الحدث الذي بدا فيه مفهوم الجمال عند العقيلة زينب عليها الصلاة والسلام.

فقد وقفت في مجلس غاصٍ بالجبابرة والعتاة والشامتين ؛ في مجلس وضعت فيه رؤوس أخوتها وأبنائها وأرحامها وهي امرأة وحيدة تحيط بها نساء ثكالى وأطفال أطار الرعب عقولها وسمّر الخوف أعينها فغدت لا تبصر سوى شخص زينب بنت علي أمير المؤمنين عليها السلام.

أن بكت! بكوا وأن أمسكت أمسكوا، وإن تكلمت أنصتوا وإن سكتت تأملوا واعتبروا.

في مجلس وقف فيه طاغية عصرها شامتاً وساخرا وساحراً لعقول أطبق عليها الظلم فغدت بلهاء عوجاء حمقاء تتبع سبيل قوم مجرمين ؛ فكأنه ألقى عليهم عصيه وحباله، وقال بعزة فرعون أنا لنحن الغالبون ثم التفت إليها قائلاً : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

كلمات خيل الى كثير من الجالسين كأنها تسعى!!.

فرمتها عقيلة حيدر عليها السلام بكلمات تلقف ما يافكون، فقالت عليها السلام :

«الحمد لله الذي أكرمنا ببنيه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا من الرجس تطهيرا، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر. وهو غيرنا».

فكانت جولة خسر فيها فرعون الكوفة ما أوتيه من سحر فلم يكن يدري أنها تنطق بلسان علي أمير المؤمنين عليه السلام فأعاد الكرّه لعله يفلح هذه المرّة! وقد استجمع كل ما ورثه من رجس أمه سميه وجدته مرجانة فألقى كلماته، وياليته لم يفعل فلقد كانت القاضية!!؟.

فقال لها: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟.

فقالت عليها السلام: **«ما رأيت إلا جميلا هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»**[1].

فغضب - اللعين - وكأنه هم بها.

فقال له عمرو بن حريث: أنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال ابن زياد: لقد شفيّ اللهُ قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك.

فقالت: **«لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت»**.

فقال ابن زياد: هذه سجاعة! ولعمري لقد كان أبوك سجاعاً شاعراً.

فقالت: **«يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة! وإن لي عن السجاعة شغلا وإني لا عجب ممن يشتفي بقتل أئمته، ويعلم إنهم منتقمون منه في آخرته»**[2].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص ٧١، ط المطبعة الحيدرية. الفتوح لابن اعثم: ج٥، ص ١٢٢، ط دار الأضواء. اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص ٩٤، ط أنوار الهدى. البحار: ج ٤٥، ص ١١٦، ط بيروت. العوالم للبحراني - الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٨٢، ط مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه). أعيان الشيعة السيد محسن الأمين: ج ١، ص ٦١٤، ط دار التعارف.

(٢) مثير الأحزان: ص ٧١، ط المطبعة الحيدرية. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٦.

فلم يجد ابن زياد بعد هذه الهزيمة والذل الذي مني به غير التشفي من رأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أذن:

ظهور المفهوم كان فريداً من حيث الزمان والمكان والفكر والرؤى والأشخاص والظروف والعوامل والألم والمشاعر والتحديات؛ فلم يشهد التاريخ يوماً ولن يشهد أن ينطلق مفهوم للجمال من قلب لم يبق موضع فيه يخلو من ألم مبرح ومصاب مقرح وهو مع هذا يرى الجمال يزهوا من تلك الوجوه التي تعفرت على رمضاء كربلاء في ساحة الطف يوم عاشوراء.

فحقاً ما رأت عقيلة علي عليها السلام إلا جميلاً، فهي التي لم تفارق الجمال يوماً، فقد رأت عينها جمال تلك الوجوه التي لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله. وهي التي لم تفارق إذنها الجميل فها هو صوت جدها رسول الله وصوت أبيها علي وأمها فاطمة وأخويها الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين يطرق مسامعها.

أنه جمال في جمال هكذا نشأت في الجمال ولا ترى غير الجمال.

ولذا: لما نظرت الى تلك الأجساد وهم أحبتها وأهلها وقد صبغتها الدماء أبصرت فيها الحياة التي تشرق مع كل صباح لتدب دورة جديدة في الفكر البشري فينهض مجدداً في وجه الجهل والظلم والاستبداد والذل.

وينطلق في ساحات المعرفة والعدل والحرية والعزة.

هكذا هو مفهوم الجمال عند العقيلة زينب فأما حياة بجمال وأما موت بجمال.

مباحث مفهوم الجمال عند العقيلة زينب عليها السلام

المبحث الأول:

الجمالية البلاغية في خطاب العقيلة زينب عليها السلام

من الركائز التي ظهرت في خطاب العقيلة زينب عليها السلام هي: جمالية الخبر والإنشاء، وقوة البيان الذي تجلت فيه جمالية البلاغة بشكل سحر السامع فأنقاد الى هذا الأخبار الكاشف عن عمق الفكر وسعة المفهوم ودلالة اللفظ وإلزام الحجة التي أسرت العقل وكشفت الشبهات التي نفثها عبيد الله ابن زياد في أذهان السامعين.

ولذلك: تراه حاول أن يحجب أذهان السامعين عن هذا الجمال الذي تجلى في منطق العقيلة زينب عليها السلام فأنعطف الى ذم هذا البيان وجمالية البلاغة، قائلاً: هذه سجاعة![1] ولعمري لقد كان أبوك سجاعاً شاعراً. فقالت: «**يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة! وإن لي عن السجاعة لشغلا؛ وإني لا عجب ممن يشتفي بقتل أئمته، ويعلم أنهم منتقمون منه في آخرته**»!!.

---

(١) السجع: الكلام المقضى، والجمع اسجاع واساجيع؛ وسجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن. «كتاب العين للفراهيدي: ج ١، ص ٢١٤».

وهذا يكشف عن الأثر البالغ لهذه الجمالية البلاغية التي حجّمت ابن زياد فأعجزته عن الرد ولو بكلمة واحدة تحمل مدلولاً يرقى الى هذا الجمال المتألق في خطاب العقيلة زينب عليها السلام. بل.. أيقن أنه عاجز أمام هذا الجمال الذي وصفه بالسجاعة، وأيقن أيضاً أن هذه الكلمات أظهرت قبح منطقه وركاكة لفظه وهشاشة عبارته.

ولذلك.. «من يطلع - مثلاً - على علم البلاغة العربية يدرك بكل وضوح أن مصطلح البلاغة الذي جعله البلاغيون العرب غالباً مماثلاً للفصاحة وكلاهما ملازم للبيان، إنما يحملان ملامح الصفاء والنقاء والبهاء؛ والجودة والإتقان، والوضوح والدقة في الدلالة والاختيار، وتنقية كل أسلوب من أي لفظ يشينه، تحسيناً وتزييناً ليغدو النص متلاحم الأجزاء، عذباً رقيق الحواشي، بعيداً عن التقيد والغموض والهشاشة والضّعف والتنافر[1].

فأي باحث يتأمل في أساليب البلاغة؛ يلحظ المتكلم لا يكتفي بان يعرض أسلوبه بشكل تقريري مباشر، وإنما قد يرسله على سبيل المجاز مستخدماً أساليب مرافقة له كالترصيع؛ والتصريع؛ والإشارة؛ والتلويح ليزيد كلامه ألقاً وإشراقاً؛ وهذا كله من عناصر الجمال؛ على اعتبار إن كل مادة ترقى الى البلاغة والفصاحة إنما هي شكل جمالي وكذلك كل ما يتعلق بأحوال الإسناد والذكر والحذف، والتنكير.

---

(١) جمالية الخبر والإنشاء - دراسة بلاغة للدكتور حسين جمعة، ط منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠٥م.

إن الجمال وقع في الإبداع البلاغي كما وقع في غيره من أنماط إبداعية إنسانية ولاسيما حين حرصت أساليب البلاغة على أسرار الجملة اللغوية والنحوية والأدبية في وقت واحد لتصل بالكلام العربي إلى مرتبة البيان الناصع المؤثر الساحر الذي يثير النفس والفكر إذا سمعه البلغاء كما جرى مع سيد المرسلين ﷺ حين استمع إلى عمرو بن الأهتم وأعجب بقوله فقال ﷺ : «**إن من البيان لسحرا**»[1]...

المبحث الثاني:

تلازم مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد في الفكر الزينبي

من المفاهيم التي تألقت في كلام العقيلة زينب عليها السلام هو مفهوم التوحيد ؛ والتوحيد كعقيدة إيمانية ترافق حركة الإنسان منذ ولادته - وهي الفطرة - إلى وفاته، فقد تفاوت الناس في هذه الرتبة الإيمانية وتفاوتوا في مفهومهم للتوحيد ؛ حتى ورد في الحديث النبوي الشريف عن النبي الأعظم ﷺ ، أنه قيل له : يا رسول الله لقد شوهد عيسى بن مريم عليه السلام يمشي على الماء!؟

فقال ﷺ : **لو زاد يقينه لمشى على الهواء**[2].

---

(١) المصدر السابق، والحديث الشريف أورده السيوطي في الجامع الصغير من حديث البشير النذير : ١ / ٢٣١ (حديث رقم ٢٤٥٦).

(٢) مستدرك الوسائل للنوري : ج ١١ ، ص ١٩٨.

وفي إبراهيم قال عزوجل: «**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**»[1].

ومن هنا:

نلمس أن مفهوم التوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام يرقى الى تلك الرتبة التي تحدث عنها القرآن الكريم والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فزينب الكبرى رأت بعين اليقين جمال الملكوت وأيقنت أن هذا الجمال والجلال لا يصدر إلا عن الجميل الذي أضفى من جماله على هذا الكون.

ثم أنها أيقنت أيضاً أن هذا الجميل لا يصدر عنه إلا كل شيء جميل فإن كتب الحياة أو القتل فهما سيان من الجمال وأن قدر الصحة أو المرض فهما في الجمال شيء واحد؛ وكذلك الفقر والغنى والشدة والرخاء؛ أوالعسر واليسر فكله جميل وجماله ليس بلحاظ جوهر الشيء إذ من البديهي أن العافية أرجى للعبد من المرض وكذلك الغنى والرخاء واليسر وطول العمر وغيرها من المطالب الحياتية فهي أرجى وأنعم لكل إنسان من حيث جوهرها.

ولكن العقيلة عليها السلام لا تنظر الى جوهر هذه المطالب وإنما تنظر الى صنع الله تعالى وما يختاره لعبده فإن هذا الاختيار جميل، وهذا التقدير جميل، فلا يصدر عن الله تعالى إلا الجمال.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

ولذلك:

تساوى عندها عليها السلام الصحة والمرضى، والغنى والفقر، والعسر واليسر.

وهنا ملاحظة:

قد يرقى كثير من المؤمنين الى رتبة من التوحيد يتساوى عنده البلاء والرخاء، فيعدهما سيان لأن محل صدورهما هو الله.

ولكن.. إن يرى هذا التقدير جميلاً فيأنس به كما يأنس الشارد الظامئ بواحة غناء، فيها عذب الماء.

فهذا مرهون بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام ولاسيما صاحبة العصمة الصغرى عقيلة حيدر عليها السلام.

ولذلك: تلازم عندها مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد، وهو ما دلّ عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لّما سئل عن معنى «إن الله جميل ويحب الجمال»[1]؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أحد صمد لم يلد ولم يولد**».

---

(١) هذا الحديث الشريف ذكره جمع من المحدثين في كتبهم، منهم الشيخ الكليني رحمه الله: الكافي، ج٦، ص ٤٣٨، ط دار الكتب الإسلامية. وسائل الشيعة: ج٤، ص٤٥٥. العلامة الحلي رحمه الله في إرشاد الأذهان: ج١، ص٥٧، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم. مستند الشيعة للمحقق النراقي: ج٤، ص ٣٧٢، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم. نيل الأطوار للشوكاني: ج٢، ص ١٠٨، ط دار الجليل. مسند احمد: ج١، ص٣٩٩، ط دار صادر. صحيح مسلم: ج١، ص٦٥، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً.

وقد أردف الفخر الرازي هذا الحديث الشريف بقوله: «لأنه إذا لم يكن واحداً عديم النظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه، ولذلك سميت سورة التوحيد بـ «سورة الجمال»[1].

ولأنها عليها السلام قد أيقنت إن الله تعالى واحد لا شريك له فقد ردت على قول ابن زياد حين سألها: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك»؟.

قالت: «**ما رأيت إلا جميلا هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فأنظر لمن الفلج**»[2].

كلمات رسمت على صفحات الحضارة الإنسانية لوحةً زاهية الألوان، وأضحت الملامح لكل إنسان يريد بيقين أن يختار طريقه في الحياة.

كلمات أسست منهجاً راقياً لمن أراد أن يؤمن بالغيب واليوم الآخر ويرى جمال الحكمة.

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ[3].

---

(١) تفسير الرازي: ج ٣٢، ص ١٧٦.

(٢) البحار: ج ٤٥، ص ١١٦.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨١.

مصادر الكتاب

١ - القرآن الكريم.

مصادر علم التفسير

٢ - تفسير سعد السعود للعلامة السيد ابن طاووس / طبع ونشر منشورات الرضا عليه السلام / قم.

٣ - تفسير الميزان للعلامة محمد حسين الطباطبائي / طبع منشورات جماعة المدرسين/ قم.

٤ - تقريب الأذهان للسيد محمد الشيرازي / طبع دار العلوم.

٥ - تفسير الثعلبي / طبع دار إحياء التراث العربي / بيروت.

٦ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني / طبع ونشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/ تحقيق الشيخ المحمودي.

٧ - تفسير البغوي / طبع دار إحياء التراث العربي / بيروت.

٨ - تفسير الكشاف للزمخشري / طبع مصطفى الباجي / حلب.
٩ - تفسير الثعلبي / طبع سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م / نشر دار إحياء التراث العربي.
١٠ - تفسير النسفي / لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي / طبع دار الفكر / بيروت.
١١ - تفسير القرطبي / طبع مؤسسة التاريخ العربي.
١٢ - تفسير ابن العربي / طبع سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م / نشر دار الكتب العلمية.
١٣ - تفسير الكبير للفخر الرازي / الطبعة الثالثة.
١٤ - تفسير الآلوسي.
١٥ - تفسير أبي السعود / طبع ونشر دار إحياء التراث العربي / بيروت.
١٦ - تفسير البيضاوي / طبع دار الفكر / بيروت.
١٧ - تفسير الثعالبي / ط دار إحياء التراث العربي / بيروت.
١٨ -خصائص الوحي المبين لابن البطريق، ط ونشر دار القرآن الكريم.

مصادر علم الحديث

١٩ - مسند زيد بن علي / ط دار مكتبة الحياة.
٢٠ - نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام) بشرح محمد عبدة.
٢١ - نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد المعتزلي / طبع دار إحياء التراث العربي.
٢٢ - الكافي للشيخ الكليني / طبع دار الكتب الإسلامية / طهران.
٢٣ - الآمالي للشيخ الصدوق / طبع مؤسسة البعثة.
٢٤ - عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق / ط مؤسسة الأعلمي.
٢٥ - دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي/نشر دار المعارف/القاهرة لسنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٢٦ - معاني الأخبار للصدوق / نشر مؤسسة النشر الإسلامي لسنة ١٣٧٩هـ / قم.

٢٧ - علل الشرايع للصدوق نشر المكتبة الحيدرية.

٢٨ - من لا يحضره الفقيه للصدوق/الطبعة الثانية/ نشر مؤسسة النشر الإسلامي/قم.

٢٩ - كامل الزيارات لابن قوليه / نشر مؤسسة نشر الفقاهة لسنة ١٤١٧هـ.

٣٠ - الطرائف للسيد ابن طاووس نشر الخيام / قم.

٣١ - إقبال الأعمال لسيد ابن طاووس / طبع ونشر مكتب الأعلام الإسلامي.

٣٢ - العمدة لابن البطريق / طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي.

٣٣ - وسائل الشيعة للحر العاملي / نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام / قم.

٣٤ - مستدرك الوسائل للشيخ النوري.

٣٥ - بحار الأنوار للعلامة المجلسي / طبع مؤسسة الوفاء / بيروت.

٣٦ - صحيح البخاري / طبع ونشر دار الفكر / بيروت.

٣٧ - صحيح مسلم / طبع ونشر دار الفكر / بيروت.

٣٨ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني / طبع ونشر دار المعرفة.

٣٩ - عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني / طبع دار إحياء التراث العربي.

٤٠ - سنن الترمذي / طبع ونشر دار الفكر.

٤١ - مسند احمد بن حنبل / طبع دار صادر / بيروت.

٤٢ - مسند أبي يعلي الموصلي / طبع دار المأمون للتراث.

٤٣ - صحيح ابن حيان / طبع مؤسسة الرسالة.

٤٤ - المصنف لابن أبي شيبة الكوفي / نشر دار الفكر / بيروت.

٤٥ - تحفة الأحوذي.

٤٦ - مجمع الزوائد للهيثمي / طبع ونشر دار الكتب العلمية.

٤٧ - المعجم الكبير للطبراني / طبع دار إحياء التراث العربي.

٤٨ - فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ط ونشر دار الكتب العلمية.

٤٩ - كنز العمال للمتقي الهندي.

٥٠ - شرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري / ط دار الكتب العلمية.

٥١ - نيل الأوطار للشوكاني / طبع دار الجبل.

٥٢ - تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للمباركوي / طبع دار الكتب العلمية.

مصادر علم الفقه

٥٣ - وسائل المرتضى / طبع دار القرآن الكريم.

٥٤ - الخلاف للشيخ الطوسي / ط مؤسسة النشر الإسلامي.

٥٥ - المعتبر للمحقق الحلي / طبع مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام.

٥٦ - إرشاد الأذهان للعلامة ابن فهد الحلي / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

٥٧ - اللمعة الدمشقية للشهيد الأول / طبع ونشر جامعة النجف الدينية.

مصادر علم السيرة

٥٨ - الإرشاد للشيخ المفيد / طبع دار المفيد.

٥٩ - الإختصاص للشيخ المفيد / طبع دار المفيد.

٦٠ - المناقب لابن شهر آشوب المازندراني / طبع المطبعة الحيدرية.

٦١ - أعلام الورى للطبرسي / طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٦٢ - بناء المقالة الفاطمية للسيد ابن طاووس.

٦٣ - النودار للراوندي / طبع مؤسسة دار الحديث للثقافة.

٦٤ - الاحتجاج للطبرسي / ط دار النعمان / النجف الأشرف.
٦٥ - كشف الغمة للآربلي / طبع دار الأضواء / بيروت.
٦٦ - مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي : طبع مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم.
٦٧ - تنبيه الغافلين لابن كرامة، ط ونشر مركز الغدير للدراسات.
٦٨ - وقعة صفين لنصر بن مزاحم / طبع مكتبة المرعشي.
٦٩ - مستدرك سفينة البحار.
٧٠ - جامع الأحاديث الشيعة للبروجردي / طبع منشورات مدينة العلم.
٧١ - جواهر المطالب لابن الدمشقي / طبع إحياء الثقافة.
٧٢ - بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للطبري / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.
٧٣ - حلية الأبرار للبحراني / ط مؤسسة النشر الإسلامي.
٧٤ - شرح إحقاق الحق المرعشي / طبع مكتبة آية الله المرعشي.
٧٥ - أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للسماوي / مركز الدراسات الإسلامية / قم.
٧٦ - العوالم للبحراني / طبع مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه / قم.
٧٧ - ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق / طبع مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم.
٧٨ - النصائح الكافية لابن عقيل العلوي / طبع دار الثقافة / قم.
٧٩ - مشكاة الأنوار للطبرسي / طبع المكتبة الحيدرية.
٨٠ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين / طبع دار التعارف.
٨١ - غرر الحكم.
٨٢ - مدينة المعاجز للبحراني / طبع مؤسسة المعارف الإسلامية.
٨٣ - موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام لمعهد تحقيقات باقر العلوم.
٨٤ - مكارم الأخلاق للطبرسي / طبع منشورات الشريف الرضي.

٨٥ - الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي / طبع مكتبة الصدر / طهران.

٨٦ - معالم المدرستين للعسكري / طبع مؤسسة النعمان.

٨٧ - شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

٨٨ - مستدركات أعيان الشيعة.

٨٩ - ينابيع المودة للقندوزي / طبع دار الأسوة.

٩٠ - مطالب السؤول لابن طلحة / تحقيق ماجد العطية.

٩١ - مناقب الإمام علي للخوارزمي.

٩٢ - ذخائر العقبى للطبري.

٩٣ - الفصول المهمة لابن الصباغ، نشر دار الحديث.

٩٤ - الذرية الطاهرة للدولابي / طبع الدار السلفية.

٩٥ - الدر النظيم لابن حاتم / طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

٩٦ - معارج الأصول إلى معرفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للزرندي / تحقيق ماجد العطية.

٩٧ - نزهة الناظرين للحلواني.

٩٨ - نهج الإيمان لابن جبر، ط ونشر مجتمع إمام هادي عليه السلام مشهد.

٩٩ - العدد القوية لعلي بن يوسف الحلي، ط ونشر مكتبة المرعشي.

١٠٠ - السيرية الحلبية، نشر دار المعرفة - بيروت.

١٠١ - الشمائل للقاضي عياض / طبع دار الفكر.

١٠٢ - الشفا للقاضي عياض / طبع دار الفكر.

١٠٣ - فضائل آل البيت عليهم السلام للمقريزي / تحقيق علي عاشور.

١٠٤ - مقتل الحسين لأبي مخنف / طبع المطبعة العلمية / قم.

١٠٥ - مقتل الحسين للمقرم / طبع مؤسسة النور / بيروت.

١٠٦ - اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس / طبع أنوار الهدى / قم.

١٠٧ - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصفهاني / طبع مؤسسة دار الكتاب.

١٠٨ - المجالس الفاخرة للعلامة عبدالحسين شرف الدين / طبع مؤسسة المعارف.

١٠٩ - لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين / طبع مكتبة بصيرتي.

١١٠ - مثير الأحزان لابن نما الحلي طبع الطبعة الحيدرية.

مصادر علم الرجال

١١١ - رجال الكشي / طبع الهند.

١١٢ - تهذيب التهذيب لابن حجر / طبع دار الفكر / بيروت.

١١٣ - تذكرة الحفاظ للذهبي / طبع دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١١٤ - تهذيب الكمال للمقري.

١١٥ - الاستيعاب لابن عبد البر / طبع دار الجيل.

١١٦ - أسد الغابة لابن الأثير / طبع اسماعيليان.

١١٧ - الإكمال في أسماء الرجال لابن ماكولا / طبع مؤسسة أهل البيت عليهم السلام .

مصادر علم التاريخ

١١٨ - تاريخ الطبري / طبع الأعلمي.

١١٩ - تاريخ الأحاديث والآثار للزيلعي / طبع دار ابن خزيمة.

١٢٠ - تاريخ الإسلام للذهبي / طبع دار الكتب العربي.

١٢١ - الوافي بالوفيات للصفدي / طبع دار إحياء التراث.

١٢٢ - الكامل في التاريخ لابن الأثير / طبع دار صادر.

١٢٣ - البداية والنهاية لابن كثير.

١٢٤ - الفتوح لابن أعثم / طبع دار الأضواء.

١٢٥ - الكافي في التاريخ / طبع دار إحياء التراث العربي.

١٢٦ - وفيات الأعيان / ط دار صادر.

١٢٧ - أخبار الدول للقرماني.

١٢٨ - المغازي للواقدي.

مصادر علوم اللغة العربية والأدب

١٢٩ - كتاب العين للفراهيدي.

١٣٠ - لسان العرب لابن منظور.

١٣١ - الصحاح للجوهري طبع دار العم للملايين.

١٣٢ - الفروق اللغوية لابن هلال العسكري.

١٣٣ - معجم ما استعجم للبكري الأندلسي / طبع عالم الكتب / بيروت.

١٣٤ - تاج العروس للزبيدي.

١٣٥ - نفح الطيب في غصن الأندلس الطيب للمسائي / ط دار صادر.

١٣٦ - مجمع البحرين.

١٣٧ - خزانة الأدب البغدادي طبع دار الكتب العلمية.

١٣٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / طبع اسماعيليان.

١٣٩ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة / طبع مؤسسة الرسالة.

١٤٠ - مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

١٤١ - الموضوعات لابن الجوزي.

١٤٢ - دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للشيخ المنتظري / طبع المركز الإسلامي العالمي للدراسات الإسلامية.

١٤٣- أصل الشيعة وأصولها، الشيخ كاشف الغطاء، نشر مؤسسة الإمام علي عليه السلام.

المحتويات

المبحث الثالث

جمال العترة النبويةعليهم السلام

المبحث الرابع

مفهوم الجمال عند الإمام الحسين عليه السلام والبعد السيكولوجي

المبحث الخامس

الجمال في عاشوراء بين المشهد العام والمشهد الخاص

المبحث السابع

مفهوم الجمال عند العقيلة زينب عليها السلام